طريق الشعب

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1721) السنة السابعة

الخميس (11) شباط 2010

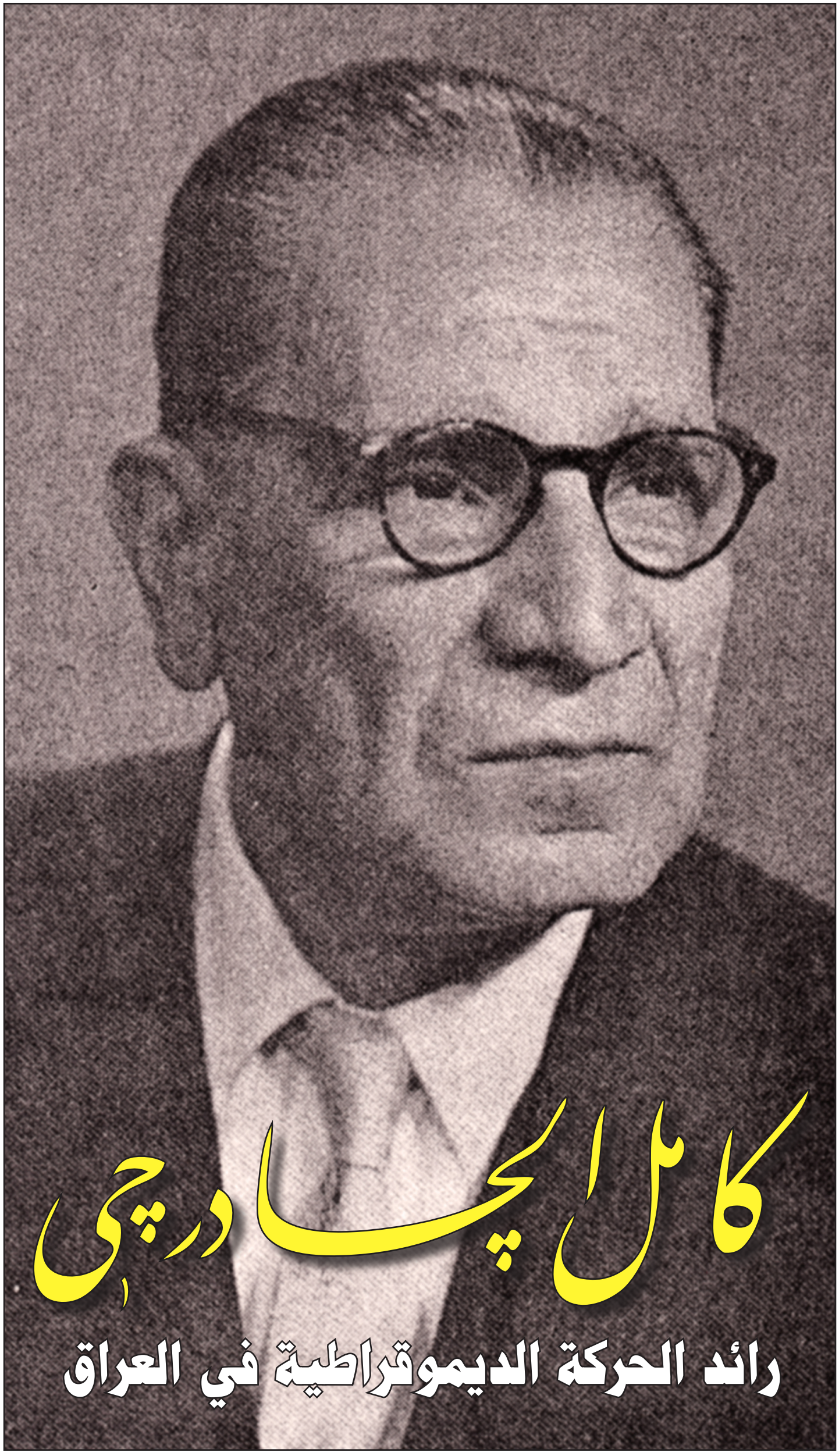

كامل الچادرچي

رائد الحركة الديموقراطية في العراق

في ذكرى الأستاذ كامل الجادرجي

6

كامل الجادرجي وجماعة الاهالي

8

العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

الاستاذ كامل الجادرجي

١٨٩٧ـ١٩٦٨

ولد كامل الجادرجي في بغداد عام ١٨٩٧ من اسرة عراقية يرجع تأريخها الى اكثر من ٣٠٠ عام، وكان والده رفعة الجادرجي من الشخصيات البارزة في العهد العثماني ، وكان قد تولى منصب امين العاصمة عدة مرات.
أكمل كامل الجادرجي دراسته الثانوية عام ١٩١٣ وبقي طوال فترة الحرب العالمية الاولى في بغداد، وأمضى مدة في الجيش لبلوغه سن الجندية.
كان كامل الجادرجي في عهد الاحتلال الانكليزي في مقدمة الشباب العاملين ضد الانكليز ، ولما نشبت ثورة عام ١٩٢٠ اشترك فيها مع والده فنفاهما الانكليز مع بقية افراد الاسرة الى الاستانة.

دخل المدرسة الطبية التركية عام ١٩٢١، الا انه قطع دراسته هناك لأسباب اضطرارية وعاد مع الاسرة الى بغداد في أواخر تلك السنة، ودخل مدرسة الحقوق في بغداد، واثناء دراسته في كلية الحقوق (بعد ان ابدل اسمها) عين سكرتيرا لمحافظة بغداد.

وفي عام ١٩٢٦ عين معاوناً لوزير المالية للشؤون التي تتعلق بالبرلمان.

في عام ١٩٢٧ انتخب نائبا في البرلمان وبقي منذ ذلك الحين على اتصال وثيق بالسياسة العراقية وبأهم الشخصيات السياسية.

دخل حزب الاخاء الوطني الذي كان يرأسه ياسين الهاشمي عام ١٩٣٠ وانتخب عضواً في اللجنة المركزية لذلك الحزب.

وتولى ادارة صحافة الحزب المذكور فحوكم في عهد وزارة نوري السعيد الاولى وحكم عليه بالسجن، وفي تلك الفترة اظهر كامل الجادرجي مقدرة كبيرة في ادارته لصحافة حزب الاخاء الوطني وبرز بين ساسة الحزب وكان يعتبر السكرتير الفعلي له وأبرز عضو فعال فيه.

في عام ١٩٣٣ ترك كامل الجادرجي حزب الاخاء الوطني لاختلافه مع معظم اعضاء الحزب وقادته في الميول والاراء وانضم على الاثر الى جماعة (الاهالي) انضماماً فعلياً بعد ان كان متصلاً بتلك الجماعة منذ بداية صدور جريدة (الاهالي).

ثم انضم بعد ذلك مع جماعة الاهالي الى تشكيلات سرية اشترك فيها الزعيم الوطني المعروف جعفر ابو التمن وشخصيات سياسية اخرى مثل حكمت سليمان وغيره، وقد كان لتلك التشكيلات تنظيم عسكري كان بكر صدقي من ابرز اعضائه، وهو الذي قاد انقلاب ٢٩ تشرين الاول عام ١٩٣٦ وقد اشترك كامل الجادرجي في وزارة الانقلاب، وكان من ابرز اعضائها، كما انه الف مع جماعة الاهالي وعدد من انصارهم جمعية الاصلاح الشعبي التي كانت على شكل حزب سياسي.

إختلف مع بكر صدقي بعد ان سيطر على الوزارة والحكم واستقال مع جعفر ابو التمن ووزيرين آخرين من الوزارة مما مهد الى سقوط تلك الوزارة، وقد اضطر بعد ذلك الى مغادرة العراق وقضى فترة من الزمن خارجه.

كان الديمقراطيون قد بدأوا بالتجمع قبيل حوادث عام ١٩٤١ في العراق، وكان كامل الجادرجي متصلاً بهم وبالحركة الوطنية عموماً، وفي ايلول من عام ١٩٤٢ اصدر مع عدد من الديمقراطيين جريدة (صوت الاهالي) فدخلت تحت اشرافه عهداً جديداً من الكفاح الديمقراطي في فترة الحرب العالمية الثانية ومهدت لقيام الحزب الوطني الديمقراطي ، ومع ان بعض اعضاء جماعة الاهالي القديمة تركوا جريدة (صوت الاهالي) واتجهوا في خط آخر. الا ان اخرين منهم ظلوا مع كامل الجادرجي ومنهم محمد حديد الذي تولى منصب نائب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي فيما بعد، وكذلك حسين جميل الذي ظل على اتصال بالجريدة واشترك في تأسيس الحزب المذكور وتولى سكرتاريته.

وقد شقت جريدة الاهالي طريقها بصعوبة بالغة في كفاحها من اجل الدميقراطية والتهيئة لتكوين الحزب الوطني الديمقراطي وكسبت شهرة بالغة لا في العراق وحده وانما في سائر البلاد العربية، وقد كان كامل الجادرجي صاحب الفضل الاول في رسم سياسة الجريدة وخط سيرها المستقيم والمسؤول عن دعوتها المضطرة للحكم الديمقراطي في العراق.

ومن نشاط الجادرجي في ذلك الحين سعيه لتكوين جمعية الصحفيين التي تولى رياستها بعد تكوينها وظل في رياستها حتى عام ١٩٥٠.

وعند تكوين الاحزاب العراقية الحديثة اسس كامل الجادرجي مع محمد حديد وحسين جميل وعدد اخر من العاملين في الحقل الديمقراطي، الحزب الوطني الديمقراطي الذي اجيز رسميا في نيسان عام ١٩٤٦ وقد تولى كامل الجادرجي رياسة الحزب منذ ذلك الحين.

خاض الجادرجي مع الحزب غمار المعارضة العنيفة ضد العهد الملكي واوضاعه الدكتاتورية. وقد قدمته وزارة ارشد العمري للمحاكمة بعد تكوين الحزب بأشهر قليلة عام ١٩٤٦ وحكم عليه بالسجن ثم نقض الحكم وأعيدت المحاكمة الى سقوط وزارة أرشد العمري.

استمر الجادرجي في خطه الديمقراطي مهاجماً الفساد والاضطهاد في العهد المذكور وقدم للمحاكمة مرة اخرى عام ١٩٤٧ عند التمهيد لعقد معاهدة بورتسموث ولعب مع اعضاء الحزب الوطني الديمقراطي دورا بارزا في وثبة ٢٨ كانون الثاني عام ١٩٤٨ التي قضت على تلك المعاهدة بعد التوقيع عليها ، وفي عام ١٩٤٨ اشترك في الانتخابات النيابية عن المنطقة الثالثة في بغداد الا انه جوبه بمعارضة عنيفة من قبل السلطات واستخدمت ضده وضد انصاره مختلف الوسائل غير المشروعة حتى اضطر الى الانسحاب من المعركة الانتخابية.

وفي تلك السنة (١٩٤٨) لوحق اعضاء الحزب بشدة وسجن الكثير من اعضائه مما اضطر قيادة الحزب الى طلب تجميده في المؤتمر العام المنعقد في اواخر تشرين الثاني

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

ثم اصدر الجادرجي بيان التجميد في اوائل كانون الاول وكان بياناً شديداً دعا فيه الى الثورة في مناشدته الشعب الى ان يتدبر امره في ظل ذلك العهد الارهابي.

في حزيران عام ١٩٤٩ قدم نوري السعيد الذي كان يتولى رياسة الوزارة كامل الجادرجي الذي كان يعتبره عدوه السياسي الاول الى المحاكمة وحكم عليه بالسجن مع ايقاف التنفيذ وسد جريدة (صوت الاهالي).

في ايلول من عام ١٩٤٩ اعاد الجادرجي اصدار الجريدة باسم (صدى الاهالي) متمسكا بنفس الخط الصلب السابق.

وفي ربيع عام ١٩٥٠ اعيد نشاط الحزب، وقد عمل الجادرجي على توسيع عمل الحزب فاتصل بفريق من نواب البرلمان ممن كانوا يعارضون الحكم وكان ينشر خطبهم. وكان اتصاله بهم اما بصورة مباشرة او بواسطة نائبي الحزب محمد حديد وحسين جميل، حتى تكونت كتلة من اولئك النواب زاد عدد اعضائها على الخمسة والثلاثين استقالت من المجلس بصورة جماعية وشنت حملة سياسية قوية عند ذلك العهد.

وقد اصدر الجادرجي وبمبادرة منه بيان الحياد مع عدد من اولئك الساسة في عام ١٩٥١ وكان اول صوت يدعو للحياد في البلاد العربية، كما عمل على تكوين جبهة سياسية مع اولئك السياسيين وضع لها نظام خاص رفضت الحكومة اجازتها على شكل كتلة مع الحزب الوطني الديمقراطي، ولكنها اجازت تكوين حزب باسم حزب الجبهة الشعبية كان من اقطابه طه الهاشمي ومحمد رضا الشبيبي وعدد كبير من اولئك النواب المستقلين ، وقد وضع ميثاق مشترك بين الحزب الوطني الديمقراطي وتلك الجبهة واستمر العمل المشترك الذي كان قطبه الجادرجي حتى عام ١٩٥٢.

شهد عام ١٩٥٢ نشاطاً سياسياً كبيراً ولاسيما بعد مفاوضات النفط وعقد اتفاقية النفط التي عملت جريدة (صدى الاهالي) ثم (الاهالي) على معارضتها بشدة، وقد بلغ النشاط قمته في تشرين الاول من ذلك العام بتقديم مذكرات سياسية شاركت فيها الهيئات السياسية كلها، وكان لكامل الجادرجي وقادة الحزب الوطني الديمقراطي دور رئيسي في تلك الحملة، وكانت المذكرة التي قدمت باسم الحزب الوطني الديمقراطي من اشد تلك المذكرات وأكثرها دقة في تحديد المطاليب الشعبية، وعندما عقد مؤتمر البلاط على اثر تقديم تلك المذكرات كامل الجادرجي اللسان الذي تحدث باسم الشعب، والذي اصطدم مع اقطاب العهد السابق حتى انتهى المؤتمر بخروجه على اثر اهانة وجهها الوصي الى رئيس حزب الجبهة الشعبية.

وفي اعقاب ذلك انفجر السخط الشعبي بانتفاضة ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٥٢ والتي شهدت المظاهرات فيها الهتاف بسقوط العهد الملكي لأول مرة، كما اعلن المتظاهرون تكوين وزارة وطنية برياسة كامل الجادرجي ما حمل الحكومة على اعلان الاحكام العرفية وتولية رئيس اركان الجيش رياسة الوزارة ونزول الجيش الى الشارع.

أعتقل الجادرجي مع عدد من اعضاء الحزب وقضى فترة من الزمن في معتقل ابي غريب العسكري وكان من بين اخر من اطلق سراحهم ، وكان الحزب الوطني الديمقراطي قد اغلق بامر عسكري وعطلت جريدة الاهالي لسان حاله.

في عام ١٩٥٣ ألغيت الادارة العرفية وألغي قرار غلق الحزب فعاد الحزب برياسته الى نشاطه وقد توسع ذلك النشاط واتسع تعاون الحزب مع حزب الاستقلال وكان ذلك التعاون قد بدأ عام ١٩٥٢.. وعندما أجريت انتخابات عام ١٩٥٤ عمل الجادرجي مع قيادة الحزب على تكوين الجبهة الوطنية من الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وعدد من الساسة المستقلين والعناصر السياسية والنقابية وقد رشحت الجبهة عدداً كبيراً في تلك الانتخابات جوبهوا بمقاومة عنيفة من السلطة وزورت الانتخابات في معظم المناطق ومع ذلك وصل عشرة من مرشحي الجبهة الى المجلس كان في مقدمتهم كامل الجادرجي، وقد اثار دخول الجادرجي مع عدد من نواب الجبهة الى المجلس ثائرة نوري السعيد الذي كان في لندن فأرسل البرقية التي كشفت بعد ثورة تموز في محاكمة فاضل الجمالي والتي حذر فيها من وجود الجادرجي في مجلس النواب، وقد دعت الحكومة المجلس للانعقاد لسماع خطاب العرش ثم امتنعت عن دعوته للاجتماع بعد ذلك حتى الف نوري السعيد الرزازة فبدأ عهده الاسود بحل المجلس ثم ألغى الاحزاب والصحف وفرض اشد عهود الارهاب في تاريخ العراق حتى ذلك الحين.

وقد نضم كامل الجادرجي وقادة الحزب طلباً لاعادة تأسيس الحزب بموجب المرسوم الجديد فرفض الطلب، وفي عام ١٩٥٥ قدم طلبا مع بعض اعضاء الحزب الوطني الديمقراطي وبعض اعضاء حزب الاستقلال طلبا لتأسيس حزب باسم (حزب المؤتمر الوطني) ومع ان الطلب رفض فقد ظل الجادرجي يعمل باسم الهيئة المؤسسة ويوقع المذكرات والبيانات مع الشيخ محمد مهدي كبه رئيس حزب الاستقلال.

سافر كامل الجادرجي في أواخر صيف عام ١٩٥٦ الى سوريا لحضور المؤتمر الشعبي العربي الى القاهرة ضمن اعضاء المكتب الذي انتخب لذلك المؤتمر، وعند وجوده في القاهرة وقع العدوان الثلاثي وأرسل برقيته المعروفة الى العراق بالاحتجاج على تعاون حكومة نوري السعيد مع بريطانيا وشركات النفط، وقد اتخذ نوري السعيد البرقية المذكورة ذريعة لاحالة الجادرجي الى المجلس العرفي بعد عودته الى العراق ومن ثم الحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

قضى كامل الجادرجي معظم مدة حكمه وفي سجنه ذلك ظل الجادرجي يتصل بالسياسيين من مختلف الاحزاب فتكونت بعلمه جبهة الاتحاد الوطني التي مهدت سياسياً لثورة تموز عام ١٩٥٨ ، كما كان هناك اتصال سري معه حول التنظيم العسكري للثورة بصورة غير مباشرة وقد تبادل الراي في هذا الشأن حول الثورة.

وقد ضم كامل الجادرجي وقادة الحزب طلباً لاعادة تأسيس الحزب بموجب المرسوم الجديد فرفض الطلب، وفي عام ١٩٥٥ قدم طلبا مع بعض اعضاء الحزب الوطني الديمقراطي وبعض اعضاء حزب الاستقلال طلبا لتأسيس حزب باسم (حزب المؤتمر الوطني) ومع ان الطلب رفض فقد ظل الجادرجي يعمل باسم الهيئة المؤسسة ويوقع المذكرات والبيانات مع الشيخ محمد مهدي كبه رئيس حزب الاستقلال.

وقد اطلق سراح الجادرجي قبل ثورة تموز بايام قليلة.

بعد قيام ثورة تموز عام ١٩٥٨ وتكوين الحكم الوطني والنظام الجمهوري كان هم كامل الجادرجي دائماً الدعوة لتحقيق اهم اهداف الثورة وهو حكم الشعب الديمقراطي وكان هذا هو المظهر الاساس لنشاطه السياسي، وقد حاول منذ الايام الاولى للثورة المحافظة على جبهة الاتحاد الوطني وظل يعمل من اجل ذلك حتى صدر بيان الجبهة في عام ١٩٥٨ ، ولكن الجبهة ولدت هذه المرة ميتة ولفظت أنفاسها بعد ذلك.

أصيب كامل الجادرجي بنوبة قلبية حادة في أواخر عام ١٩٥٨ ولكنه عاود النشاط السياسي بعد زوال النوبة وحتى عندما كان لا يزال راقداً في المستشفى الجمهوري، وقد عاودته النوبة في اواخر عام ١٩٥٩ وسافر في اواخر نيسان من ذلك العام للاتحاد السوفيتي حيث قضى فترة من الوقت في احدى المصحات السوفيتية ، وانتقل بعد ذلك الى عدد من الدول الاوروبية.

بعد عودته للعراق في خريف عام ١٩٥٩ أبلغ قيادة الحزب الوطني الديمقراطي معارضته للطريقة، التي جمد فيها الحزب في ايار من ذلك العام بعد مغادرته العراق، وحاول اعتزال العمل السياسي، الا ان السياسة التي لم يستطع الجادرجي اعتزالها في أي يوم من حياته وحتى اخر لحظة، جذبته فعاد الى مزاولة النشاط بعد اعادة تكوين الحزب في اوائل عام ١٩٦٠، وقد تميزت الفترة بين عام ١٩٦٠ و١٩٦١ بنشاطه الحزبي الدائب ولكن الوضع الجأه الى الاستقالة من رياسة الحزب والسفر الى خارج العراق لحاجته الى الاستشفاء في صيف عام ١٩٦١ ، تمسك الحزب الوطني الديمقراطي برئيسه واعيد انتخابه لرياسة الحزب ضد رغبته الا ان إصراره على الانسحاب بعد عودته الى العراق في خريف تلك السنة أجبر قيادة الحزب على تجميد نشاطه في ذلك الحين.

ومع ان الجادرجي اعتبر نفسه معتزلاً للعمل الحزبي الا انه لايقل نشاطاً من الناحية السياسية عما كان عليه في السابق.

وعندما أتيح اصدار جريدة (المواطن) في حزيران عام ١٩٦٢ عاد الجادرجي الى الاشراف الفعلي على الجريدة المذكورة باعتبارها خليفة لجريدة الاهالي وكان يشرف على المقال الافتتاحي وتحريره كل يوم. وفي ذلك الحين اصبح هذا النشاط سبباً لنشاط سياسي اعلن فيه الجادرجي رأيه في وجوب تحقيق الوحدة الوطنية وتجميع الجهات الوطنية من مختلف الاتجاهات في جبهة واحدة لاصلاح الوضع السياسي الذي ساده الحكم الفردي.

بعد احداث شباط عام ١٩٦٣ استمر الجادرجي في عمله السياسي وكان ابرز وجوه ذلك العمل المذكرة التي قدمها في ١٢ مايس عام ١٩٦٣ حول الوحدة الاتحادية والمشروع الخاص بها الذي وضع في القاهرة في ١٧ نيسان من ذلك العام، وقد تابع الجادرجي ابداء رأيه في الاحداث السياسية بشكل مستمر وكان يعبر عن رأي جماعته من الوطنيين الديمقراطيين وكان من ابرز ما فعله إدلائه بتصريحات سياسية أثارت ضجة سياسية في ٢٤ مايس عام ١٩٦٦ ونشرت في جريدة (العرب)، ومن نشاطه السياسي التصريحات التي نشرتها جريدة (التآخي) في الصيف الماضي وأخيراً البيان الذي وقعه مع محمد حديد وهديب الحاج حمود والذي نشر في بداية العدوان الاخير على البلدان العربية في حزيران الماضي.

توفي الجادرجي مساء يوم الخميس الاول من شهر شباط عام ١٩٦٨، على أثر نوبة قلبية سريعة لم يستطع معها اسعاف نفسه كما كان يفعل طوال السنوات الماضية عندما كانت تعتريه النوبات القلبية المفاجئة.

وللجادرجي اربعة اولاد وبنت وهم رفعة ويبلغ من العمر ٤٢ عاماً وباسل ويبلغ ٣٧ عاماً ونصير ويبلغ ٣٥ عاماً ويقظان ويبلغ ٢٥ عاماً وآمينة وهي متزوجة من المحامي طارق نشأت السنوي.

كامل الجادرجي حياته ونشاطه السياسي – كراس صدر بمناسبة اربعينيته

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

كامل الجادرجي والعمل الحزبي العقائدي في العراق والبلاد العربية

د. جعفر الحسني

صفحة انطوت من صفحات النضال الوطني المستديم وشمعة انطفأت من الشموع التي كانت تضيء امام الشعب، شخصية فذة من الشخصيات الوطنية التي كانت في مقدمة النضال الوطني الحر سار مع الشعب في مسيرته – ما ينوف عن نصف قرن – حيث اسهم في كل حركة وطنية وشارك في جميع المواقف الوطنية المشرفة واسند كل عمل من شأنه مكافحة الاستعمار ومناهضة عملائه..

امن بالشعب كبداية وغاية وآمن بتربة هذا الوطن وابنائه وآمن بالديمقراطية اسلوبا وطريقا لتحقيق سعادة الشعب عن طريق التمثيل الصحيح والعدالة الاجتماعية فرفع مشعل (الاهالي) وقارع بقلمه ولسانه الاستعمار والاستغلال بكل مؤامراته واحاييله منذ بداية (الحكم الاهلي) في العراق حيث كان (يسميه) فكان انساناً يشارك الانسان ايما وجد في عواطفه واحاسيسه وكان وطنيا مع كل الفئات الوطنية وكان تقدميا في تفكيره وعقليته وحياته عندما كانت الوطنية والتقدمية جريمة يحاكم عليها الفرد.. وكان ديمقراطيا يسعى لتحقيق نشر الحرية والعدالة الاجتماعية واطلاق الحريات الديمقراطية للشعب ليعبر عن رأيه ومطاليبه وكان يؤمن ايمانا عميقا بحرية الفكر والعقيدة والعمل امام الجميع، كأفراد وفئات وجماعات.. وكان يؤمن بالعمل الحزبي الايديولوجي ولعله من رواد العمل الحزبي العقائدي في العراق بل في البلاد العربية جمعاء دعما لايمانه بأن الحياة الديمقراطية الحرة لا تتحقق الا على طريق العمل الحزبي العقائدي.. واسهم كامل الجادرجي مع الفئات الوطنية المختلفة والتي تلتقي واياه في المطاليب الوطنية والقومية العليا في اطار جبهوي اكثر من مرة وصافح جميع الفئات الوطنية والتنظيمات الشعبية والتي تتشابه اهدافها واهدافه فكان قائداً وطنياً وقومياً مخلصاً لهذا الشعب.

وشخصية (كامل) شخصية عظيمة من جميع النواحي فهي لاتحصرها مقالة ولا يفيها كلام ولا يستوعبها كتاب او تاريخ.. ولعلي هنا احاول ان اذكر بعض الصفات البارزة الفذة في تاريخ حياته واسألاً القارئ عذرا ان قصرت او اخفقت في رد الدين الذي في عنقي حيث كان له الفضل الاكبر في توجيهي وتعليمي في هذه الحياة، كافح "كامل" الاستعمار والاستغلال بضراوة وعناد وكان بقلمه ولسانه وعقله وسلوكه لا يلين لأحد ولا يثنيه عن عزمه احد.. يرفض كل انواع المهادنة والاستكانة ويأبى الانصياع لاعداء الشعب فكان يؤمن بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية وهو لايفرق بين فئة واخرى أو طبقة او اخرى من طبقات هذا الشعب وكان يحارب التفرقة العنصرية والقومية والطائفية وسعى دائماً لتحقيق مبدأ تكافوء الفرص امام الجميع وتوزيع المناصب والوظائف حسب الكفاءة والمقدرة لا حسب المقاييس التفضيلية الاخرى من دون تفريق بسبب الجنس او العقيدة او المنسوبية.

وكان "كامل" تقدميا منذ نعومة اظفاره وقد اعتنق المبادئ التقدمية الانسانية وعمل على نشرها فكان زعيما لمدرسة فكرية تقدمية كبيرة تسعى لنشر المبادئ الديمقراطية والتقدمية في محاربة الاستعمار والاستغلال وترسيخ الحكم على قاعدة شعبية ممثلة تمثيلا برلمانيا صحيحا وتحقيق العدالة الاجتماعية وتقليل الفوارق الاقتصادية بين الطبقات ومحاربة الاستغلال وتحقيق الرفاه الاقتصادي والاجتماعي لمجموع الناس. ولم يكن "الجادرجي" شخصية سياسية فحسب بل تعداها فكان فيلسوفاً في كل شؤون الحياة وكان اديبا وفنانا وباحثا اجتماعياً فكانت ندوته مجمع علماء وادباء وشعراء وفنانين ومفكرين وكان فوق كل ذلك مرجعا للشباب والكهول والشيوخ للاستنارة بأرائه والاستفادة من توجيهاته وخبره فهو مع كونه زعيماً حزبياً الا انه كان مستشارا لكل وطني مخلص مهما اختلف في تفكيره وعقيدته نظراً للخبرة الطويلة والمراس المستديم للعمل الوطني والسياسي.

وقد دابت جريدة "الاهالي" واخواتها في كل الظروف والاحوال في كشف مؤامرات الاستعمار والتنبيه الى اساليبه واحابيله ليس في العراق حسب بل في جميع اجزاء الوطن العربي بل في جميع انحاء العالم التي اكتوت بنار الاستعمار والاستغلال.. لانه كان يعتقد دوما بأن للاستعمار شبكة متواصلة ومشتركة في جميع البلدان المبتلية فيه فكانت هذه الصحيفة مدرسة سيارة لها الفضل الاكبر في تخريج الطليعة الواعية من ابناء هذا البلد..

ولا يمكن تعداد مواقف "الجادرجي" الوطنية فهي لا تعد ولاتحصى فقد كرس حياته الخاصة والعامة للاسهام بكل حركة وطنية وانتفاضة شعبية تهدف للتخلص من الاستعمار والحكم البغيض الذي لا يستند على ارادة الشعب ولعل حياته سفر من الاسفار التاريخية المهمة الحافلة بالمواقف المشرفة والاراء السديدة والتوجيهات الصحيحة التي كان يوجهها لجميع الفئات الوطنية ولعل اهم ما تميز به هو هذا الاحساس الدقيق والتوقعات التي كان يفكر بها حول مسيرة هذا الشعب في نضاله الوطني وترسيخ قواعد الحكم الديمقراطي الصحيح فهو سجل حافل لتاريخ الحركة الوطنية في العراق الحديث.

رحم الله "كامل الجادرجي" فقد كان ابا للديمقراطية وموجها ناصحا امينا لمدرسة كبيرة واسعة هي مدرسة "الديمقراطية" والتي نحن الان بأمس الحاجة لتطبيقها والنهج بهديها والتي تتمثل باسمى المبادئ الانسانية، والسعي لايجاد حكم ديمقراطي برلماني يستند الى قاعدة شعبية واسعة وهي الغاية التي سعى اليها كامل الجادرجي.

التآخي ١٩٦٨/٤/١١

رسالة من الجادرجي الى نهرو

صدر مؤخرا باللغة العربية كتاب جديد للسيد جوهر لال نهرو بعنوان (صفحات مطوية من حياتي) يحتوي على مجموعة من الرسائل التي تلقاها السيد نهرو خلال كفاحه الوطني من اجل استقلال الهند وحريتها.

وقد كان من بين تلك الرسائل رسالة بعث بها الاستاذ كامل الجادرجي بتاريخ ١٢ كانون الاول عام ١٩٣٨ ، يوم كان سكرتيرا لحزب الاصلاح الشعبي، وننشر فيما يلي نص هذه الرسالة التاريخية:

عزيز السيد نهرو

ربما كان من نعم حضارة الزمن الراهن ان يستطيع الانسان عقد اواصر الصداقة مع اشخاص ربما لم تكن له بهم صلة شخصية.

لقد كانت بلادكم عظيمة حقا منذ الزمن السحيق فلقد أغدقت عليها الطبيعة ثروات لا تنفذ ، ومع ذلك فأن الهند لم تكن منذ فجر الحضارة على مثل ما هي عليه من عظمة هذا اليوم حيث تتفتح بذورها العقلية عن رجال تحتاجهم البلاد، بل انها لم تكن على مثل ما هي عليه من عظمة منذ اليوم الذي ظهرت فيه شخصية فريدة كشخصيتك في افق الشرق تمتلك خيالي وتلهبه كما تمتلك خيال اخواني وتلهبه.

انني لست متشائماً حيال مستقبل الهند طالما ظلت تنجب رجالا مفكرين وتعطى العالم تضحيات فريدة في نوعها في التاريخ الانساني.

اننا نقدر كليا ومن اعماق قلوبنا نضالكم ونتمنى ان تتاح لنا الفرصة لمشاطرتكم اياه ولو على نطاق ضيق، لاننا نجابه مصيرا واحدا، ذلك ان الجهد الحق في الحملة على الاستعمار لاستثمار يجب ان لايوزع على وحدات صغيرة متناثرة وليس للحدود الجغرافية ولا للعقبات السياسية ان تكبح هذا النضال او ان تستطيع القضاء عليه.

يجب ان نعترف أننا هنا في هذا الجزء من العالم العربي قليلوا المعرفة بنضالكم العظيم، ومؤخراً تلطف السيد يوسف مهر الذي لم نجد فيه مأخذاً سوى انه قصر من اقامته بين ظهرانينا، بابلاغي بعض الانباء والمعلومات عن قضيتكم العادلة.

اننا نتوق اشد التوق الى ان نعقد صلة مع حركتكم وان نصبح ملمين بها، ونرغب في التعرف عليك وعلى الشخصيات الهندية امثالك.

لا تفكر بزيارة العراق القريبة من بلادك مثلما زرت مصر مؤخراً؟

لا اظن بأنك ستخالفني اذا قلت انه حري بك ان تعرف شيئا عن هذا الجزء من العالم العربي مثلما هو واجبنا ان نعرف كل ما نستطيع عن بلادكم الكبيرة وعن جهودكم الوطنية والانسانية.

ارجو ان تكون الزيارة القصيرة التي قام بها للعراق السيد مهراللى بمثابة بداية صلة لنا معك شخصيا ومع حركتكم التي نتابعها بأعظم الاهتمام.

وانهى كتابي راجيا قبول أطيب تمنياتي بنجاحكم.

١٣ كانون الاول عام ١٩٣٨.

المخلص

كامل الجادرجي

سكرتير حزب الاصلاح الشعبي

الخميس ١٠ ايار عام ١٩٦٠ – الاهالي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

الجادرجي من اصلح الرجال الذين يمكن ان تفيد الأمة العربية كلها والشعب العراقي من حياتهم بعد موتهم

احمد بهاء الدين

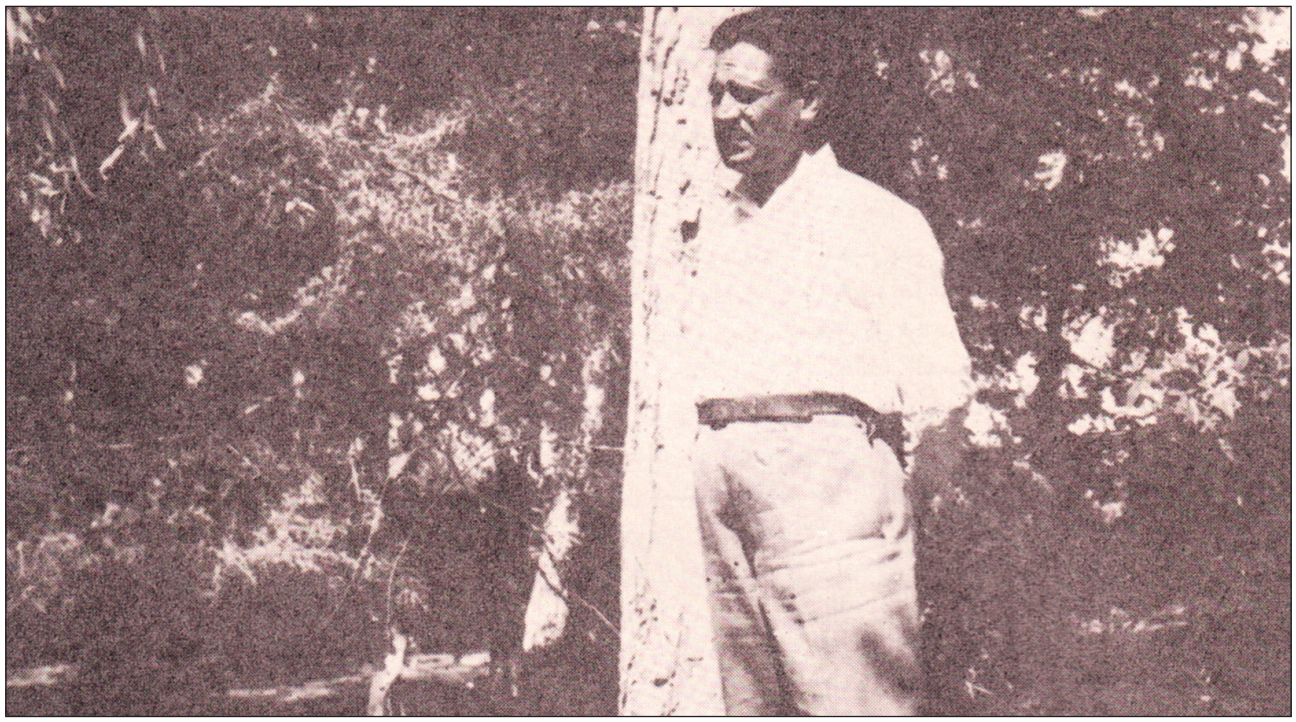

ايها السادة:

اسمحوا ان اقول انني وجدت نفسي عاجزا عن المساهمة في اسهاب وتفصيل في حفل لتأبين المرحوم كامل الجادرجي.

وربما كان السبب هو ما اعتقده من ان –التأبين– بالمعنى الذي تعارفنا عليه لهذه الكلمة، ليس هو المجال الكافي للحديث عن كامل الجادرجي بعد رحيله، التأبين، نحن نعرف حدوده ومعناه، فالناس يتذكرون فقيدهم ويسترجعون خسارتهم في فقده، المعاني العامة لحياته، ولكنها ليست المناسبة التي يذهب فيها الناس بعيدا في التحليل والتقييم ، في الاستقراء والاستنباط في مناقشة الخطأ والصواب.

التأبين بهذا المعنى قد يكون كافيا بصدد رجال تربطنا بهم علاقة عاطفية اما الرجال الذين دارت حياتهم حول قضايا مصيرية واقترنت مراحل نضالهم بامتحانات تاريخية، وكانت عذاباتهم صورا من عذابات امتهم.. هذا النمط القليل من الرجال لا يكفيهم منا– او بالاحرى لا يكفينا منهم– بعد رحيلهم وقفة التأبين.

انما نحتاج ازاء مشهد حياتهم الكبير الى وقفة اخرى من نوع آخر وقفة مناقشة وبحث وتقييم وجدل.

لهذا فأنني اتمنى على اللجنة الموقرة، التي تفضلت وبادرت الى القيام بواجب التأبين نحو الفقيد الكريم.. ان تبادر الى اشياء اخرى..

انني اتمنى عليها لو بادرت الى القيام بعمل منظم لجمع ونشر كل كتابات كامل الجادرجي، والوثائق المتصلة به، منشورة كانت او غير منشورة..

وانني لاتمنى عليها ايضا لو بادرت الى دعوة عدد من الساسة والكتاب والمفكرين الى الاشتراك بابحاث يكتبونها في كتاب يصدر عن الراحل الكبير، فيكون فيه المجال واسعا لاكثر من زاوية واكثر من وجهه نظر،وتكون النبرة فيه نبرة التحليل التاريخي والاجتماعي والفكري لا نبرة التأبين في البلاد المتقدمة نجد ان هذا اللون من النشاط، وهو صورة من صور تكريمها للراحلين من ابنائها ولاستمرار الاستفادة بهم حتى بعد وفاتهم..

ولعل كامل الجادرجي من اصلح الرجال الذين يمكن ان تفيد الامة العربية كلها والشعب العراقي من حياتهم بعد وفاتهم، لو تناولناهم بهذا الاسلوب.

فكامل الجادرجي، كان يبدو من بعيد رجلا صلبا ، مصمما ، قاطعا ارائه ومواقفه، وهذه صفات نضالية كانت بارزة فيه وجعلته على الدوام صخرة مستحيلة الكسر في ساحة النضال ضد الاستعمار وضد الظلم الاجتماعي، ولكن من اقتربوا من كامل الجادرجي عرفوا ان وراء هذه العتبة الفولاذية كانت هناك على الدوام معاناة فكرية هائلة، وتأمل عميق وعريض بكل ما يحمله التأمل والتعمق والفكر لاصحابه من جحيم القلق والارق والاحتدام.

لم يكن كامل الجادرجي سياسيا بسيطا، بالمعنى السياسي البسيط الذي نعاني منه كثيرا في وطننا العربي، انما كان سياسيا لا يكسب في خضم التموجات السياسية –عن القراءة ومتابعة الجديد ومراجعة القديم، وتعميق الجدل بين كل الظروف والملابسات، ففي حياته وفي كتبه المنشورة وغير المنشورة مادة تستدعي البحث والجدل والاستقراء..

الامر الثاني الذي يملى علينا ان نتناول كامل الجادرجي بعد موته بهذا الاسلوب هو ان حياته السياسية النشيطة تكاد تكون قد عاصرت مرحلة من اخطر مراحل الحياة العربية الحديثة واحفلها بالتيارات والافكار، فهو قد عاش الحكم التركي ثم الحكم الانكليزي ثم الاستقلال هو قد رأى باستعداده الفطري اواخر الظلام العثماني لعدة قرون وفي فترة الستينيات قاسى مع الامة العربية مخاض الخروج من الظلام والجمود وصدمة القرن العشرين متمثلة في الاستعمار الذي بلغ في ذلك الوقت اكبر عنفوانه، ثم مرارة الصراع الوطني الطويل لأنهيار الاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي ثم تعقيدات الاستقلال، وعذابات البحث عن طريق وعن هوية وعن نمط لحياة هذه الامة.

فالتصدي بالنشر والتاريخ والتحليل لحياة فقيدنا الكبير، هو مناسبة فذة لان نفكر في مغزى هذه الاربعين سنة كلها بعمق، وان نستخلص منها للعقل العربي ما لا نستخلصه من اللهث وراء الاحداث اليومية والمواقف السياسية المتعاقبة يوما بيوم.

الامر الثالث والمهم الذي يجعل تناول حياة الجادرجي هذا التناول ليس مجرد عمل تاريخي، بل زادا غزيرا للمستقبل، هو ان كامل الجادرجي قد مات والكثير من القضايا التي افنى فيها عمره لم تحسم بعد. لقد ناضل كامل الجادرجي وقر! وتأمل وسافر ودخل السجن، وعرك الاحداث، واعتزل الاحداث، وشهد المشاهد كلها في سبيل قضايا اساسية لم تحسم بعد وليس هذا غريبا، فهي قضايا لا تحسم الا عبر اجيال طويلة، ومن خلال تحولات اجتماعية وسياسية كبرى، وما حياة المناضلين الا وقودا مستمرا لها.. فنحن حين ندرس تراث كامل الجادرجي وحياته وفكره، لا ندرس تاريخا ماضيا، وانما ندرس واقعا معاصرا ومستقبلا ما تزال فيه من الاسئلة اكثر ما فيه من اجابات..

لقد اراد كامل الجادرجي الثورة واراد الاشتراكية واراد الديمقراطية ، ولكن ما اصعب هذه الكلمات حين يكون الامر امر تطبيق واختيار، وفي بلا لها مثل ظروفنا المعقدة البالغة التعقيد، وروواسب مجدها وتخلفها على السواء، وطموح مستقبلها وما اكثر ما تتفاقم الصعوبة حين تكون هذه القضايا ليست قنوات منفصلة ولكنها تيارات تصب في مجرى واحد بتفاعل متلاطم، بل ومتناقض احيانا.

الثورة..نعم ولكن بأي ثمن من الديمقراطية، الديمقراطية نعم ولكن بأي ثمن من الاشتراكية، الاستقلال الوطني نعم ، لكن بأي ثمن في هذا العالم المتناقض المضطرب الى ذروة التناقض والاضطراب.

هكذا ، تتصادم الاسئلة الكبرى. كالسحب الهائلة فترعد الدنيا وتبرق وتنهمر السيول التي منها ما يزرع ويثمر ومنها ما يغرق ويدمر.

وكما قلت في اول هذا الحديث: اكثر ما نقاسي من السياسي البسيط الذي لايرى هذا الاحتدام وان كان هو نفسه لا يقاسي لأنه غارق في راحة عدم الادراك، ولكن ما اكثر ما يقاس الرجل الذي يرى هذا كله ويدركه.. تهب فيه الرياح، وتنزل عليها فهو كالواقف ابدا في الساحة التي الصواعق والسيول والرعود..

لقد مات كامل الجادرجي في فراشه ولكنه في الحقيقة مات مثخنا بجراح هذه الاسئلة الكبرى في حياة امته شهيدا للبحث والمحاولة، معرضا نفسه على الدوام لنضال العمل السياسي والفكر السياسي والقلق النبيل العظيم.

ايها السادة:

ارجو ان يكون لديكم منين ان تكون مساهمتي هذه في تأبين الفقيد العظيم اقتراحاً الى اللجنة الموقرة والى العقل العربي بوجه عام..

لا نريد ان نقول ان حياة كامل الجادرجي قد انتهت واننا قد أبناه وانما نقول ان حياة كامل الجادرجي مستمرة وان فائدتها للشعب العراقي والوطن العربي كله متصلة. وهذا يتوقف علينا، لا عليه. يتوقف علينا ان يكون تراثنا الحديث تراثاً حيا، قائما باسئلته وتجاربه ومواقفه ومعاناته، في اذهاننا وفي عملنا..لا ان يوارى هذا التراث بالتراب مع الجسد الذي هو الى فناء.

لقد مات كامل الجادرجي في فراشه ولكنه في الحقيقة مات مثخنا بجراح هذه الاسئلة الكبرى في حياة امته شهيدا للبحث والمحاولة، معرضا نفسه على الدوام لنضال العمل السياسي والفكر السياسي والقلق النبيل العظيم.

هذه المقالة للكاتب المصري المعروف الراحل احمد بهاء الدين القيت في اربعينية الجادرجي ونشرت في مجلة المصور المصرية

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

في ذكرى الأستاذ كامل الجادرجي

د.كاظم حبيب

على مدى أكثر من أربعة عقود احتل الشخصية الوطنية والديمقراطية اللامعة الأستاذ الفاضل والراحل كامل الجادرجي موقعاً بارزاً ومتميزاً في قلب الحركة الفكرية والسياسية والصحفية الوطنية العراقية مشاركاً بفعالية فيها ومؤثراً في مجرى حركتها وقائداً رئيسياً لواحدة من أبرز الحركات الديمقراطية العراقية التي برزت في جماعة الأهالي أولاً وفي الشعبية ثانياً ثم تبلورت في الحزب الوطني الديمقراطي في اعقاب الحرب العالمية الثانية وبالتحديد منذ العام ١٩٤٦. لقد شارك الأستاذ الراحل الجادرجي في الحياة السياسية وزيراً ونائباً ومعارضاً ، حراً طليقاً وسجيناً يعيش حريته الفكرية ومواقفه السياسية بالرغم من سجنه ، كاتباً وصحفياً ومفكراً ومثقفاً رفيع المستوى.

قاد الحزب الوطني الديمقراطي سنوات صعبة تميزت بالمقاومة الجادة لسياسات العهد الملكي غير الديمقراطية ومن أجل إقامة مجتمع مدني ديمقراطي حر. كان الراحل اشتراكياً إصلاحياً لم يهادن على مصالح الوطن والمجتمع ، عرف الواقع العراقي ومستوى الوعي وطبيعة المرحلة وشخص المهمات والقدرة على التغيير وسخر صحيفة الحزب دفاعاً عن قضايا الشعب والديمقراطية والسلام العالمي ورفض الحروب والقواعد العسكرية. ساهم بوعي ومسئولية في تشكيل جبهة الاتحاد الوطني التي رافقت الحركة العسكرية لإسقاط الملكية ، ولكنه رفض قيادة العسكر للمسيرة السياسية العراقية وأدرك مخاطرها والعواقب الوخيمة المحتملة. وكان الرجل واعياً لطبيعة العسكر وما يمكن أن يؤول إليه الوضع في العراق إن واصلوا قيادة البلاد في أعقاب ثورة تموز ١٩٥٨ ، رغم تقديره لوطنية عبد الكريم قاسم. طالب بتنحي العسكر عن السلطة ووضع الدستور الدائم وإجراء الانتخابات ، ولكن لم يصغ له العسكر ولم يأخذ برأيه قاسم. وقف إلى جانب حقوق الإنسان وحقوق القوميات ورفض استخدام السلاح في مواجهة مطالب الشعب الكردي القومية العادلة وأدان الحرب التي بدأ بها قاسم ضد الشعب الكردي في العام ١٩٦١/١٩٦٢ ، رغم نداءات الديمقراطية للعراق والسلم لكُردستان التي رفعها الحزب الشيوعي ووجدت تأييداً لها في الأوساط الديمقراطية العراقية.

لقد وقف الراحل الجادرجي إلى جانب تغيير الاقتصاد العراقي وبناء الصناعة الوطنية والإصلاح الزراعي ودافع عن الطبقة الوسطى ودورها في الحياة الاقتصادية وشدد على ضرورة القطاع الخاص ، ولكنه لم يهمل أهمية ودور قطاع الدولة في العملية الاقتصادية في بلد يملك ثروة وطنية كبيرة ينبغي لها أن تبقى في يد الدولة وتستخدم لمصلحة الشعب وتطور وازدهار البلاد.

تميز الراحل برفضه للنظم الديكتاتورية والسياسات الفردية بمختلف صورها وأشكال ظهورها في العراق ورفض التعاون مع جميع الحكام الذين مارسوا تلك السياسات ، بما في ذلك وابتداءً من فردية عبد الكريم قاسم ومروراً بدكتاتورية وشوفينية البعثيين والقوميين الذين تربعوا على عرش السلطة بين ١٩٦٣ إلى حين رحيله في العام ١٩٦٨، وتعرض الجادرجي ، بسبب مواقفه الفكرية والسياسية المبدئية الصارمة ، إلى إرهاب واضطهاد حكم البعث والقوى القومية.

يفترض في ذكرى رحيله أن تذكر العراقيات والعراقيين جميعاً بالمبادئ الرصينة والقويمة التي تبناها ودافع عنها وناضل من أجلها الأستاذ الراحل كامل الجادرجي ، وأن تكون هادية ودافعة لرفاق حزبه القدامى والجدد الذين أعادوا تأسيس الحزب مرة أخرى بعد سقوط نظام البعث الدكتاتوري برئاسة الأخ الفاضل والصديق الأستاذ نصير الجادرجي ، ومعه مجموعة من خيرة قياديي وكوادر الحزب الذين شاركوا في النضال على امتداد الفترات المنصرمة ، والمعروفين لنا جميعاً ، في تنشيط الحزب وتحديثه وتطوير علاقاته بالشعب وبالقوى الوطنية ومهمات المرحلة.

إن مبادرة ومشاركة الحزب الوطني الديمقراطي بإصدار نداء "مدنيون" يشير إلى إدراك قيادة هذا الحزب للواقع العراقي ، مع بقية القوى التي شاركت في هذه المبادرة ، وأهمية إعادة تشكيل التيار الديمقراطي العراقي وتعبئة المزيد من الأوساط الشعبية والمثقفين والديمقراطيين العراقيين حول هذا النداء ، ثم تطوير الفكرة لعقد مؤتمر موسع يمكن أن تشارك فيه قوى وشخصيات عراقية نسائية ورجالية لكي تدفع بالعملية السياسية في العراق صوب الديمقراطية ومن أجل وضع حد للإرهاب والطائفية والمحاصصة القائمة على هذا الأساس والخلاص من الفساد المالي والإداري ومن ثم الخلاص من وجود القوات الأجنبية في البلاد.

في الذكرى الراهنة لرحيل الجادرجي يتمنى الإنسان أن يجد الحزب ، الذي شارك في بنائه وقاده سنوات طويلة ، رغم كل المصاعب والانشقاقات والإرهاب ، أن يستعيد ويأخذ دوره ومكانته في الحياة السياسية العراقية ويساهم في إغناء الحياة الديمقراطية وفي بناء الدولة العراقية المدنية والاتحادية الديمقراطية المنشودة.

دور ومكانة كامل الجادرجي في الحركة الوطنية والديمقراطية العراقية

شاركت أربعة أحزاب في التحضير لثورة تموز ١٩٥٨ هي: الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال والحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الديمقراطي الكردي. وقد شاركت الأحزاب الأربعة الأولى في عضوية اللجنة

إن مبادرة ومشاركة الحزب الوطني الديمقراطي بإصدار نداء "مدنيون" يشير إلى إدراك قيادة هذا الحزب للواقع العراقي ، مع بقية القوى التي شاركت في هذه المبادرة ، وأهمية إعادة تشكيل التيار الديمقراطي العراقي وتعبئة المزيد من الأوساط الشعبية والمثقفين والديمقراطيين العراقيين حول هذا النداء

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

العليا لجبهة الاتحاد الوطني ، في حين شارك الحزب الديمقراطي الكردي (الكردستاني فيما بعد) بشكل غير مباشر وعبر علاقة نظمت له مع الحزب الشيوعي العراقي بسبب اعتراض حزب البعث وحزب الاستقلال على مشاركته في اللجنة العليا. وهذا يعني أن الحزب الوطني الديمقراطي لم يكن مؤيداً للعملية العسكرية التي جرت في الرابع عشر من تموز لإسقاط نظام الحكم السياسي غير الديمقراطي والملكية حينذاك حسب ، بل كان مشاركاً فعلياً وأساسياً في التهيئة والتمهيد ثم التحضير الفكري والسياسي للخلاص من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي سادت العراق في ظل الحكومات العراقية المتعاقبة للعهد الملكي. وكان الحزب الوطني الديمقراطي ممثلاً برئيس الحزب حينذاك ، الأستاذ كامل الجادرجي ، في اللجنة العليا للجبهة. وكان من أبرز من اكتوى بنار انقلاب ١٩٣٦ وتعلم منها الكثير وعاش تجربة انقلاب ١٩٤١ وما سبقه وأعقبه من أوضاع شاذة. وبالتالي كان من الذين أكدوا ضرورة تسليم الحكم للمدنيين في أعقاب نجاح الانتفاضة العسكرية بقيادة حركة الضباط الأحرار ورئيسها الزعيم الركن عبد الكريم قاسم. وحين انتصرت تمنى على قاسم أن يسلم السلطة إلى المدنيين لا أن تتشكل حكومة برئاسة قاسم تضم إليها مجموعة كبيرة من ممثلي الأحزاب السياسية المشاركة في جبهة الاتحاد الوطني ، ولكن مجلس الوزراء خلا من ممثلي الحزب الشيوعي العراقي، ونشأ موقف الأستاذ كامل الجادرجي عن مسألتين ، وهما: التجربة التي عاشها سابقاً ، والاتفاق الذي تم مع قاسم ، على أن يكون الحكم في العراق بعد سقوط الحكم الملكي جمهورياً ومدنياً لا عسكرياً. كان الأستاذ كامل الجادرجي غير مرتاح من مشاركة الحزب الوطني الديمقراطي في حكم يرأسه عسكري حتى لو كان قائد الثورة من الشخصيات الوطنية التي لا يرقى لوطنيتها الشك ، إلا أنه يبقى عسكرياً واحتمال تحوله إلى شخصية تمارس سياسات فردية أمر ممكن كما حصل في السابق بسبب الذهنية العسكرية عموماً. ولكنه وافق على مضض بسبب رغبة قيادة حزبه ، ورفض المشاركة في مجلس الوزراء شخصياً.

تابع الأستاذ كامل الجادرجي من خارج الحكومة الوضع في العراق عبر أربعة مستويات :

١. ما كان يجري في الشارع العراقي من قبل أوساط واسعة من الشعب العراقي التي كانت تدار وتوجه من عدد من الأحزاب السياسية.

٢. ما كان يجري من جانب الأحزاب السياسية لا على مستوى الجماهير الواسعة حسب ، بل وفي إطار ذات الأحزاب والصراعات في ما بينها والتي كانت تنتقل بسرعة وإصرار إلى الشارع العراقي.

٣. وما كان يجري في أوساط الحكومة ودور رئيس الوزراء الرئيسي والأساسي في كل القرارات والإجراءات التي تتخذ وغياب أي دور حقيقي للحكومة ذاتها أو لمجلس السيادة الثلاثي.

٤. كما كان يراقب بعناية الدور الإقليمي الذي كانت تلعبه كل من إيران وتركيا من جهة ، والدول العربية ، وخاصة القومية منها والخليجية ، ومعها السعودية.

لم تكن هذه المراقبة بعيدة عن المشاركة في ما يجري في العراق ، بل قد ارتبط باتخاذ موقف واضح وصارم من العملية السياسية الجارية ومن دور عبد الكريم قاسم. وكان يشاهد بوضوح عدة مؤشرات لا يمكن لمن يخوض العملية السياسية اليومية والمزدحمة بالمشكلات أو من كان يشكل جزءاً من الحكومة مشاهدتها بعين مدققة وناقدة. فقد لاحظ الأستاذ الجادرجي ما يلي:

١. إن الشارع العراقي بدأ يسيطر على العملية السياسية ، وفي هذه الظاهرة خطر سيادة الفوضى واحتمال كبير في الوقوع بانحراف صوب اليسار أو صوب اليمين حيث يفقد الحكم البوصلة الضرورية لدفع العملية بالاتجاه الصحيح ، إذ يمكن أن يفقد المسؤولون القدرة في السيطرة على وجهة المسيرة والعوامل الفاعلة فيها ونتائجها أو عواقبها.

٢. وقد تلمس الجادرجي إن الشارع وعدداً من القوى والأحزاب السياسية بدأت تمجد قائد الثورة بصورة غير اعتيادية وتجعل منه قائداً استثنائياً يصعب رد قراراته (الزعيم الأوحد) أو أقواله ، إذ تتحول كلها إلى قوانين ملزمة وإلى فردية طاغية تسقط العمل الجماعي المنشود. ولم يكن هذا التشخيص ناجم عن غيرة أو حسد لجماهيرية القائد من جانب الجادرجي ، كما حلا للبعض تسميته بتحليل مسطح ، بل لإدراكه لمخاطر دفعه إلى الفردية والاستبداد من خلال عملية تقديس أو عبادة الفرد.

٣. أن الأحزاب السياسية ، ولم تمض فترة طويلة على نجاح الثورة ، بدأت تخوض صراعاً في ما بينها على السلطة وعلى اتجاهات سياسة الحكم بالاتجاهين اليميني أو اليساري دون أن يكون للدولة رأي في المسيرة المنشودة بسبب غياب مؤسسات الدولة الديمقراطية وغياب الدستور الديمقراطي.

٤. وتلمس الجادرجي بحس ديمقراطي سليم ، ما يجري على صعيد الحكم من صراع بين العسكر على الدور الأول لقائد الانتفاضة المسلحة أو لنائبه عبد السلام محمد عارف ، ثم انقسام الشارع العراقي إلى أكثرية مع قاسم وأقلية مع عارف ، ولكنه تلمس العواقب الوخيمة لمثل هذا الانقسام ، خاصة بعد أن اتخذت الدول العربية موقفاً واضحاً مناهضاً لقاسم ومؤيداً لعارف.

٥. كما أدرك بوضوح أن قاسماً غير مستعد على تسليم الحكم للمدنيين ولا إلى التحول صوب الحياة المدنية والدستورية ولا إلى إقرار دستور ديمقراطي رغم التكليف بوضع هذا الدستور. إذ بدأ قاسم يعتقد جازماً بأنه الشخص الوحيد القادر على حماية الثورة وأنه الوحيد القادر على فهم الشعب وحاجاته ، وبالتالي لا يمكن الاطمئنان لآخرين. وهي سمة تصاحب الذهنية العسكرية والروح الفردية حين يكون الفرد في السلطة.

٦. ثم كان الجادرجي يتابع بدقة مجرى العملية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأدرك المخاطر الجدية لغياب المؤسسات الدستورية والديمقراطية والحياة البرلمانية وقانون ينظم عمل الأحزاب السياسية دون تدخل من وزارة الداخلية أو من قاسم مباشرة في التأثير على قرارات وزارة الداخلية بشأن إجازة الأحزاب أو حرمانها من الشرعية في العمل السياسي.

إن هذه وغيرها من الظواهر التي تراكمت تدريجاً ، بما في ذلك مجرى الصراع بين الشيوعيين والبعثيين والقوميين حول الوحدة والاتحاد ، وفي حقيقة الأمر حول السلطة السياسية واتجاه التطور ، ومن ثم دور الإسلام السياسي الجديد في مناهضته لقانون الأحوال المدنية ، ثم طريقة الحوار مع شركات النفط الأجنبية والمسألة الكردية أو طرح موضوع الكويت ، ثم بقاء أجهزة الدولة على تكوينها السابق بشكل عام لم تكن لتحصل لو أن عبد الكريم قاسم قد بادر إلى تسليم الحكم إلى جبهة الاتحاد الوطني وسحب جميع العسكريين من دفة الحكم وعاد بهم إلى ثكناتهم ومنحهم دور تأمين الحماية للحكم الجديد ، كما دعا إلى ذلك الأستاذ كامل الجادرجي ، قد وضع اللبنات الفعلية لانهيار ثورة تموز.

لم يكن كامل الجادرجي ضد قانون الإصلاح الزراعي ، كما لم يكن ضد إلغاء قانون العشائر أو ضد أي من تلك القوانين التي صدرت عن السلطة السياسية حينذاك وتستجيب لمصالح الشعب والحركة الوطنية العراقية ، بل كان يريدها أن تصدر عن سلطة شرعية ديمقراطية منتخبة تقود البلاد إلى شاطئ الأمن والسلام ، بدلاً من خلق التناقضات والصراعات والنزاعات بين القوى والأحزاب السياسية المختلفة ثم ممارسة الحكم الفردي من خلال غياب الوحدة الوطنية.

كم كان مجحفاً وبعيداً عن الموضوعية والعلمية حين اتهم كامل الجادرجي بالغيرة والحسد من جماهيرية قاسم ، في حين كانت خشية الجادرجي تنبع من تنامي تقديس الفرد على الشرعية والديمقراطية في البلاد ومستقبل العراق ، إذ أن تجربته الذاتية وتجارب العالم كانت تؤكد ، ولا تزال تؤكد ، حتمية تحول العسكريين أو الحكام إلى النهج الفردي في الحكم وإلى الاستبداد حين يبدأ الشارع يمارس عملية تقديس الفرد تقديس قاسم ، شاء قاسم أم أبى ذلك. تجارب كل الدول والشعوب تؤكد ذلك دون أدنى ريب.

ثورة تموز لم تحقق أهدافها ، رغم أنها قد بدأت بذلك بسبب زخم الاندفاع الثوري والشارع العراقي ودور بعض الأحزاب السياسية بطرح الشعارات أو برنامج جبهة الاتحاد الوطني ، لا لأن الأستاذ كامل الجادرجي لم يقف إلى جانب قاسم ، بل لأن قاسم لم يقف إلى جانب الديمقراطية والحياة المدنية والدستورية ، ولأن الفوضى ورغبة كل حزب من الأحزاب السياسية في التحكم بوجهة التطور قد أدت إلى تدهور الأوضاع. وإذ رفض الأستاذ كامل الجادرجي أن يقف حزبه إلى جانب تلك المسيرة التي بدأت تتشوه وتسير في طريق مسدود ، قاد صديقه ورفيق نضاله الطويل ، وربما بتحريض من قاسم ، الأستاذ الراحل محمد حديد ، ومعه مجموعة من كوادر الحزب ، انشقاقاً في الحزب وتم تشكيل الحزب الوطني التقدمي بقيادة محمد حديد. وكان الهدف تأييد عبد الكريم قاسم ومحاولة قيادة البلاد من خلاله ، ولكن لم تستطع إيجابية الأستاذ محمد حديد ولا ديمقراطيته المعروفة لنا جميعاً دفع البلاد باتجاه المدنية والسيطرة على فردية قاسم ، مما جعل المسيرة أكثر تعقيداً وجعل من قدرة الأستاذ كامل الجادرجي في التأثير على قاسم أكثر صعوبة بعد انشقاق حزبه ، رغم ما يقال عن احترام قاسم للراحل الجادرجي ، إذ لم تكن المسألة بالنسبة للجادرجي مدى احترام قاسم له ، بل كانت مدى إمكانية تجنيب البلاد المصائب التي وقع فيها العراق فيما بعد.

لقد دب الاختلاف في قيادة الحزب الوطني الديمقراطي ، وهو أمر طبيعي ومحتمل بالنسبة إلى جميع الأحزاب. ولكن علينا أن نقف بحيادية عالية و ونحن من خارج هذا الحزب ، لنقدر من كان على حق بعد مرور اكثر من ٥٠ عاماً على الثورة. لقد كان توقعات أو قل تنبؤات الأستاذ الجادرجي واقعية حين أكد إلى أن استمرار الحكم بقيادة العسكر سيقود الى كارثة رغم ما تحقق في البداية من نجاحات في إصدار جملة من القوانين والقرارات والإجراءات المهمة على الصعيد الداخلي والدولي. ومن المؤسف أن نقول بأن الذي اعتقد بإمكانية استمرار المسيرة على ذات الشاكلة سيقود الى النتائج المرجوة ، كان على خطأ جسيم.

. ويبدو لي بأن الموقف السلبي الذي اتخذه الأستاذ كامل الجادرجي من حكومة وسياسات عبد الكريم قاسم غير الدستورية والفردية كان سيكتب له النجاح لو تسنى للقوى السياسية الأخرى أن تدرك ما كان يدور في بال الأستاذ الجادرجي حينذاك لتتفق وإياه في ضرورة مغادرتها أو مغادرة العسكر للحكومة ، ومنهم قاسم نفسه ، والطلب المشترك في إعادة النظر في وجودهم في السلطة وتسليم الحكم للقوى والأحزاب السياسية العراقية حينذاك من خلال التعجيل بوضع الدستور الجديد وإجراء الانتخابات وفرض عملية التداول السلمي والديمقراطي للسلطة.

لا يمكن أن يكون الأستاذ الجادرجي بدون أخطاء ، فليس هناك من هو معصوم عن الخطأ ، ولكن ارتكاب الخطأ في إطار الاجتهاد السياسي المخلص شيء ، وتوجيه الاتهام بتخريب الحياة السياسية بسبب تلك الأخطاء أو حتى بدون سبب شيء آخر.

وقد تلمس الجادرجي إن الشارع وعدداً من القوى والأحزاب السياسية بدأت تمجد قائد الثورة بصورة غير اعتيادية وتجعل منه قائداً استثنائياً يصعب رد قراراته (الزعيم الأوحد) أو أقواله ، إذ تتحول كلها إلى قوانين ملزمة وإلى فردية طاغية تسقط العمل الجماعي المنشود. ولم يكن هذا التشخيص ناجم عن غيرة أو حسد لجماهيرية القائد من جانب الجادرجي ، كما حلا للبعض تسميته بتحليل مسطح ، بل لإدراكه لمخاطر دفعه إلى الفردية والاستبداد من خلال عملية تقديس أو عبادة الفرد.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

كامل الجادرجي وجماعة الاهالي

شهاب احمد الحميد

كامل الجادرجي

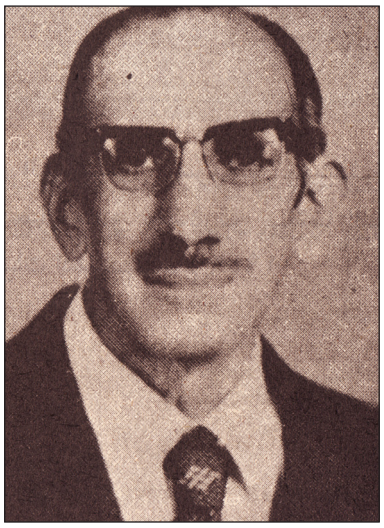

حسين جميل

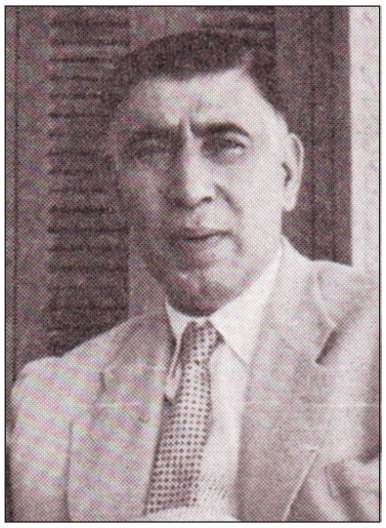

صديق شنشل

ان تصحيح المواقف والاراء التاريخية او التعقيب على الاحداث المهمة لايعني انتقاص من شخوص الرموز الاوائل الذين شقوا طريقهم في النضال والجهاد من خلال العمل السياسي ابان القرن العشرين وان اية محاو لة وثائقية لتصحيح ماينشر في صحافتنا الوطنية تعد خدمة للاجيال بما يعزز مسيرة البحث العلمي في اعادة كتابة التاريخ لما من شانه خدمة الجماهير العراقية وتطوير مسيرتها في البناء الصحيح بالتماس الطريق التحرري للرموز الاوائل وتعميق مسيرتهم وتفعيل منهجهم في الحياة والبناء الاجتماعي.

شئ رائع ان تعنى صحافتنا الوطنية برموز العراق الاوائل، خاصة عنايتها بالرهط الاول من رجال الفكر والثقافة الذين بذلوا جهوداً ريادية في مجرى الكفاح التحرري من اجل تحرير الوطن، وابلوا بلاءً حسنا في الجهاد ضد براثن التخلف العثماني والانطلاق نحو الحرية واسهموا في جهودهم الشبابية الطليعية بأرساء قواعد دولة القانون، وبناء المجتمع المدني،واثمر تواصل سعيهم بتشييد الثقافة العراقية، في ظروف مماثلة لظروف العراق في الوقت الراهن. ولاريب في ان المرحوم الاستاذ كامل الجادرجي كانت له مكانه متميزة في احتضان الطليعة الشبابية الريادية والمساهمة معها بسوح النضال على طريق الاصلاح الشعبي وآمن ايماناً مطلقاً بالشعبية الديمقراطية، وطريقة اللاعنف التي اضاف اليها شحنات ثورية بهدف التغيير من خلال انقلاب بكر صدقي وواصل جهوده البناءه في "نقطة استقطاب مهمة لآمال الطبقة الوسطى العراقية" التي تجسدت بتأسيس الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦. واثراء لدوره الريادي نتناول جوانب اخرى لاغناء تجربة الجادرجي ومساهماته مع جماعة الاهالي في موضوعات نضالية مشهودة له في مواقفها.. الا ان قيامه بتأسيس صحيفة الاهالي او تكوين جماعتها امر مشكوك به او منافيه لحقائق الامور، وليس كما ذكر في تلك الحلقات الاربع التي نشرتها جريدة الزمان الغراء في اعلى صفحاتها وهذا نص ما جاء فيه "اصدر الجادرجي عام ١٩٣٢صحيفة "الاهالي" التي التف حولها نخبة من مثقفي العراق الوطنيين، وفق برنامج تحرري لتحقيق الاستقلال الناجز عن السيطرة البريطانية، اختط لنفسه فلسفة اشتراكية ذات طابع ديمقراطي، وان شابها نوع من المثالية الامر الذي اضعف حركته، في احداث التغيير المطلوب لكنه زعيم آمن بالتغيير السياسي عبر اقامة دولة مدنية، تؤمن بالمشاركة الديمقراطية لناس على اسس دستورية صحيحة، لذا كان شخصية مؤثرة حسب تقرير السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية ببغداد". ولاشك ان القراءة الاولى للنص اعلاه تترتب عليه عشرات الملاحظات التاريخية التي تجافي الواقع بما يشوه سيرته الذاتية، وتضع الرجل في غير صورته الشخصية، حيث انه التحق بجماعة الاهالي بعد استقالته من حزب الاخاء بتاريخ ١٩٣٣ في حين صدرت جريدة الاهالي بتاريخ ٢/ ١/ ١٩٣٢وبهذا فان المبالغة في الكلمات المنمقة تشوه معالم سيرته النضالية لكونها تنفي ادوار المؤسسين الاصليين لجريدة الاهالي، سواء جماعة بغداد ام جماعة بيروت حيث كان الجادرجي معجباً بهم، وعبر عن اعجابه هذا، يوم كان خارج صفوفهم لكونهم اصغر منه سناً حيث انه من مواليد ١٨٨٩وعبد الفتاح ابراهيم مواليد ١٩٠٧ . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان حسين جميل افندي يعود اليه السبق في فكرة اصدار صحيفة الاهالي حيث قدم بتاريخ ١٦حزيران ١٩٣١طلب اصدار جريدة الاهالي الى ملاحظية مكتب المطبوعات التابع الى وزارة الداخلية والذي سجل تحت رقم الواردة ١٢٦٧١بتاريخ ١٦ / ٦/ ١٩٣٢وكان الملاحظ يومها الصحفي الرائد ابراهيم حلمي العمر الذي اتجه الى الوظيفة بعد الاحباط الذي اصابه في النضال الصحفي.. وقد اجاب ملاحظ المطبوعات بكتاب موجه الى حسين جميل افندي المحامي في بغداد هذا نصه: "امرت ان ابلغكم ان لا مانع لأصدار الجريدة المذكورة بمقتضى ما جاء في بيانكم المذكور على ان تقدموا قبل نشرها الضمانه المالية المنصوص عليها في المادة الرابعة من قانون المطبوعات رقم ٨٣لسنة ١٩٣١خلال مدة شهر من تاريخ هذا الكتاب ، والا اعتبرت هذه الاجازة ملغاة" وبعد تسديد التأمينات وجه ملاحظ مكتب المطبوعات الى الاستاذ حسين جميل بأعتباره صاحب جريدة الاهالي الكتاب المرقم ٦٥٠والمؤرخ في ٢/ ٧/ ١٩٣١جاء فيه "امرني معالي وزير الداخلية ان ابلغكم موافقته على منحكم اجازة باصدار جريدة يومية سياسية عامة في بغداد بأسم (الاهالي) وبأنكم مديراً مسؤولا لها وفقاً لقانون المطبوعات رقم ٨٣لسنة ١٩٣١.. يرجى ارسال نسختين من كل عدد يصدر من جريدتكم الى المدعي العام علاوة على ما يقتضي ارساله من النسخ الى وزارة الداخلية وهذا الكتاب ومتصرفية لواء بغداد.. -اما تسميتها بـ(الاهالي) فيذكر حسين جميل "اننا لم نختار اسماً مشتقاً من معنى الشعب وكذلك لاننا كنا متأثرين بكفاح الصحافة الوفدية في مصر وكانت جريدة الاهالي المصرية ابرز الصحف التي كنا نقرأها ونحن طلبة انذاك. اما المطبعة فان اجراءات نقلها من مكانها السابق مقابل سوق الصفافير الى مكانها الجديد خلف مدرسة الرصافي في شارع المأمون ونصب الماكنة وشراء تزاكي حروف جديدة لها استغرق مدة طويلة فتأخر تقديم الطلب لاجازة المطبعة . وعن انجاز مهمة تشغيلها وافقت وزارة الداخلية على عريضة السيد (عبد القادر افندي اسماعيل) بأعتباره صاحب المطبعة ومنحه اجازة تأسيس مطبعة بأسم (الاهالي) في بغداد يكون مديراً لها خليل افندي كنه على ان تراعوا في ادارة شؤونها واعمالها احكام قانون المطابع وقانون المطبوعات وان ترسلوا نسختين من كل ما يطبع بمطبعتكم المذكورة الى وزارتي الداخلية والمعارف ووقع الكتاب ملاحظ المطبوعات لذلك فقد تأخر صدور العدد الاول من جريدة الاهالي حوالي ستة اشهر لترتيب امور المطبعة. واخيراً صدر عددها الاول يوم السبت المصادف ٢/كانون الثاني/١٩٣٢ الموافق ٢٣شعبان ١٣٥٠هـ وتتألف الصفحة الاولى من الجريدة من ستة اعمدة. مما تقدم يتضح بأن الكاتب لم يراع الدقة الموضوعية التي يتوجب على الصحفي انَ يتحلى بها فيما يكتبه للقراء ويبدو انه غير متأكد من معلوماته لذلك لم يدون اسمه على الجريدة كما يجب"؟"وكان عليه ان يكتب لكل صفحة مقدمة خاصة يستقيها من مضمون ما وقع بين يديه من معلومات صحفية وصور تراثية جيدة دون ان يلجأ الى الاستخفاف بقراء جريدته فيعمم معلوماته القاصرة على الناس في القرن الحادي والعشرين عصر ثورة المواصلات والاتصالات ومضاداتها القنابل الذكية التي اراد ان يفخخها بـ(حمامات بغداد استخدمت فضلات الحيوان لتسخين المياه) او من خلال الـ"الفتوى بافطار الجنود في رمضان اثناء عمليات الجبهة عام ١٩١٤" وما الى ذلك من حكايات تراثية- لايام زمان- بغدادية كانت او حلاوية ليس لها صلة بتاريخنا المعاصر انما تعود لايام باشوات السلطنه العثمانية.. واخيراً.. سوف ننشر العشرات من الوثائق- والاحداث- والمواقف والصور التي التقطها الجادرجي ولازالت حبيسة في ارشيفاته وبين اوراقه الاكثر اشراقاً في صلاته مع الطبقات الاجتماعية في العمل الجماهيري التي لم يبادر للكتابه عنها حتى الآن".؟وللحديث صلة أخرى..

محمد مهدي كبة

رشيد عارف

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

فهد والچادرچي مثقفان ربطا بين الإبداع الثقافي والنشاط الفكري

اريك ديفس
ترجمة/ حسين كركوش

فهد والجادرجي مثقفان عضويان بتعريف غرامشي رغم أن مواقف الانتليجيسيا العراقية في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كان يغلب عليها التمرد ورفض النظام الاجتماعي والسياسي القائم، إلا أن من الصعوبة القول إن تلك الانتليجنسيا كانت تتألف من «مثقفين عضويين»، بالمعنى الذي يقصده غرامشي، وإحدى الصعوبات الكبرى التي وقفت عائقا أمام ظهور مثل هولاء المثقفين، تكمن في غياب ذاك النوع من المثقفين الذين هم مثقفون وسياسيون، في آن واحد، وبالتالي يملكون القدرة على أن يكونوا جسرا يربط بين الإبداع الثقافي وبين النشاط السياسي. لكن هذا لا يعني عدم وجود استثناءات مهمة، وأحدى تلك الاستثناءات كان قد جسدها القائد الشيوعي الشهير فهد (يوسف سلمان يوسف)، الذي يعتبر أحد مؤسسي الحزب الشيوعي العراقي.

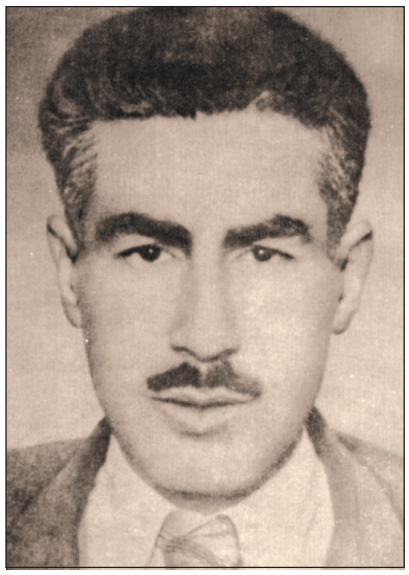

فهد

الجادرجي

إما الاستثناء الثاني فقد جسده كامل الجادرجي، أحد مؤسسي جماعة الأهالي، ومؤسس الحزب الوطني الديمقراطي. وما يثير الاهتمام، هنا، هو أن فهد والجادرجي كانا، كلاهما، يحملان خلفيات صحافية. فقد كانت بداية فهد في العمل الصحافي، في مدينة الناصرية، جنوب العراق، عندما كان يراسل صحيفة الحزب الوطني، الذي كان ظهوره قد سبق تأسيس الحزب الشيوعي، وبرغم أن فهد قد فارق الحياة في عمر مبكر، بعد أن أعدم في شباط ١٩٤٩، إلا أنه، مع ذلك، ترك وراءه كتابات معمقة حول قضايا سياسية واجتماعية. لقد كان فهد يملك حساسية خاصة إزاء التعددية الإثنية التي يتألف منها المجتمع العراقي، مثلما كان في طليعة الكتاب «الذكور» الذين دافعوا عن حقوق المرأة.

إن أحد الجوانب المهمة في الميراث الثقافي الذي تركه فهد وراءه، لفترة الخمسينيات، كان يكمن في تبنيه وأشاعته لفكرة الجبهة الوطنية في الحياة السياسية العراقية، وهي فكرة تبنتها، بطريقة فعالة، الحركة الشيوعية في العراق قبل موت فهد.

ولكن، لأن الشيوعيين ما كان بمقدورهم المشاركة بشكل علني في الحياة السياسية، فقد تسنى للحزب الوطني الديمقراطي، تحت زعامة الجادرجي، أن يتسيد الجبهتين الوطنيتين اللتين ظهرتا إلى الوجود في الخمسينيات. الجبهة الأولى هي، الجبهة الانتخابية المتحدة، التي تشكلت لمواجهة انتخابات حزيران عام ١٩٥٤.

إما الجبهة الثانية فهي، جبهة الاتحاد الوطني التي تشكلت في شباط ١٩٥٧، وكانت تهدف للتخلص من حكم نوري سعيد، وحل البرلمان، والانسحاب من حلف بغداد، ووضع العراق في طريق تبني سياسة الحياد الإيجابي، وإشاعة الحريات الديمقراطية، وإلغاء الأحكام العرفية، وإطلاق سراح جميع السجناء السياسيين.

إن المكانة البارزة جدا التي تبوأها الحزب الشيوعي العراقي عند نهاية الأربعينيات، إنما تحققت بفضل مهارات فهد التنظيمية، وبفضل جهوده التي لم تعرف الملل والكلل، في ميدان توسيع كوادر الحزب.

وبعد إعدام فهد عام ١٩٤٩، فأن ما من احد من الذين أعقبوه في قيادة الحزب، استطاع أن يعوض مكانته، سواء كمثقف، أو كقائد للحزب، وبسبب القمع البوليسي المستمر، وغياب قيادة مؤثرة، مثل قيادة فهد، فان الحزب الشيوعي تعرض إلى الانقسامات، وفي منتصف الخمسينيات كانت العديد من الانقسامات قد حدثت داخل الحزب، وأبرزها تنظيم القاعدة وتنظيم راية الشغيلة.

الناشط الثقافي والسياسي المهم الأخر، بالإضافة إلى فهد هو، كامل الجادرجي، مؤسس الحزب الوطني الديمقراطي. وبفضل الدوافع الإصلاحية عنده، اندفع الجادرجي، منذ سنوات شبابه الأولى نحو الحزب الوطني، ثم أرتبط لاحقا بجماعة الأهالي، وبعد ذلك اشترك في حكومة حكمت سليمان عام ١٩٣٦، وبرغم الفشل الذي أحاط بحكومة حكمت، إلا أن التزام الجادرجي بفكرة الإصلاح لم يتوقف، بل تعمق. وبسبب نشاطاته المتواصلة والهادفة إلى تحقيق المزيد من الانفتاح السياسي داخل المجتمع، ونتيجة لنشاطاته المستمرة والهادفة إلى إقامة مجتمع أكثر انفتاحا سياسيا، وتحقيق أكبر قدر من العدالة في توزيع الثروات فأن الجادرجي تعرض إلى السجن مرتين خلال فترة الخمسينيات.

وإلى جانب نشاطاته السياسية، كان الجادرجي مصورا فوتوغرافيا بارعا، وهذا ما تظهره مجموعة «مصورات الجادرجي» التي نشرها، بعد وفاته، نجله رفعت، إضافة لذلك، كان الجادرجي مهتما بفن العمارة، وهو أمر بالإمكان التحقق منه عند معاينة بيته في بغداد. وفوق ذلك، فان الجادرجي كان مهتما بالأدب والفن وبالفلسفة السياسية الغربية، وقد عكست صحيفتا (الأهالي) و(صوت الأهالي) اللتان أصدرهما، اهتماما بالأدب الغربي وبالأدب السوفيتي، وأحيانا حتى على حساب إهمال الأدب العربي.

إنهم لقلة أولئك المثقفين العراقيين الذين كانوا، في آن معا، ناشطين سياسيا ويملكون قوة تأثير، وأولئك الأشخاص الذين استطاعوا أن يجمعوا بين هاتين الميزتين، مثل فهد والجادرجي، تعرضا لهجمات، ليس من قبل الدولة فقط، وإنما، أيضا، من جهات أخرى. وعلى سبيل المثال، دائما ما تم الطعن بمصداقية الحزب الشيوعي العراقي والحزب الوطني الديمقراطي، بخصوص موقفيهما إزاء القضايا العربية، برغم أن أي تحليل دقيق لحقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، يظهر مدى التعاطف الذي كان يكنه فهد والجادرجي لقضية الوحدة العربية.

وهنا علينا القول أن شكل ذاك التعاطف لم يتم على الطريقة الرومانتيكية، النوستالجية التي يمكن تعقب جذورها لدى الحصري، والسبعاوي، والصباغ. وبالنسبة إلى فهد، فأن موقفه الداعم للفلسطينيين العرب، لم يعتمد على الجانب العرقي، بقدر اعتماده على وجهة نظر الحزب الشيوعي العراقي إزاء الصهيونية، باعتبارها أداة بيد الامبريالية، وكان الحزب قد جسد هذا الموقف في مبادرته، عام ١٩٤٦، عندما أسس «عصبة مكافحة الصهيونية»، التي ضمت في صفوفها عرب ويهود، إضافة إلى مكونات عراقية أخرى.

إما فيما يخص الجادرجي، فأنه عارض قيام دولة يهودية في فلسطين، ودعم بقوة الجهود الهادفة إلى تقوية جامعة الدول العربية، وقد كانت صحيفة (صوت الأهالي)، ومنذ وقت مبكر، أي في عام ١٩٤٦ ، قد نشرت مجموعة من الافتتاحيات هاجمت فيها الضغوطات الانكلو- أميركية، الهادفة إلى تقسيم فلسطين وخلق دولة يهودية.

وكان أعضاء من الحزب الوطني الديمقراطي قد انضموا إلى الجهود التي بذلتها أحزاب أخرى، خصوصا حزب الاستقلال، من أجل تشكيل لجنة «الدفاع عن فلسطين»، والتي شرعت بإرسال احتجاجات إلى السفارتين الأميركية والبريطانية، ثم دعت إلى قيام إضراب عام في مايس ١٩٤٦، للتعبير عن غضب العراقيين، إزاء السياسة الغربية في فلسطين. وعندما اندلعت الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨، بادر الجادرجي إلى نشر افتتاحية على صدر الصفحة الأولى من صحيفة (صوت الأهالي)، بعنوان «فلسطين»، طالب فيها بدعم حيوي لحقوق الفلسطينيين، بما في ذلك التدخل العسكري من قبل الدول العربية.

ولعل الانجاز الأهم الذي حققه الجادرجي خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية هو، الجهد الذي بذله خلال فترة الخمسينيات، باتجاه توحيد مختلف الأحزاب والتنظيمات السياسية، داخل جبهة وطنية، لغرض التصدي للسياسات الديكتاتورية للدولة الملكية، وكان الجادرجي قد أدرك، بعد وثبة ١٩٤٨ وانتفاضة ١٩٥٢، بأن أي تغيير ذي أهمية لا يمكن أن ينجزه حزب واحد بمفرده.

ومنذ مساهمته في وقت مبكر، أي في عام ١٩٤٦، لدعم جهود حزب الاستقلال في مناصرة القضية الفلسطينية، استمر الجادرجي في لعب أدوار محورية في كل مرة يصار فيها إلى إقامة جبهة وطنية، بما في ذلك الجبهة الوطنية الانتخابية التي شاركت في انتخابات حزيران ١٩٥٤، وهي الانتخابات التي جرت، ولأول مرة في تاريخ العراق الحديث، ضمن أجواء، غلب عليها الطابع الديمقراطي، وكانت تلك الجبهة قد فازت بعشرة مقاعد من مجموع ١٣٥ مقعد، برغم المضايقات البوليسية التي كانت الجبهة تتعرض لها.

من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

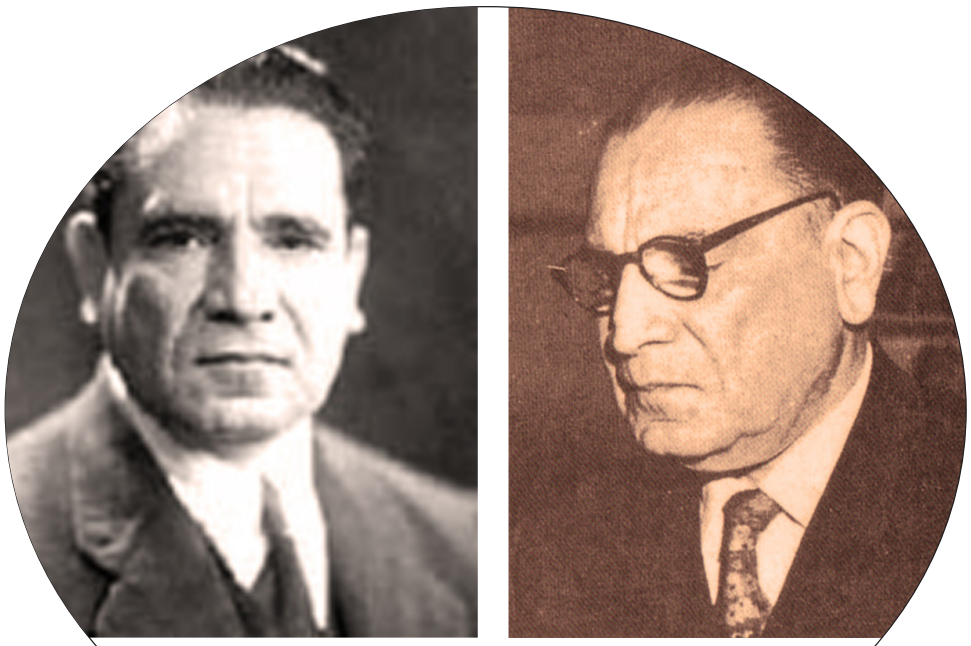

يوسف السباعي

كلمة السيد يوسف السباعي سكرتير عام منظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية وامين عام اتحاد الادباء العرب في حفل تأبين المرحوم كامل الجادرجي.

الجادرجي دفع الثمن من حريته افتداء لحرية شعبه

ايها الاخوة والزملاء يعز على النفس ان يقف المرء بينكم هذا الموقف بكل ما يحمله الموقف من معاني الفقدان والأسى والفجيع.

فأن المرء عندما يرثي زميلا ، وصديقا واخا في المعركة، فأنما يودع جانبا من حياته ويرثي جزءاً من ذات نفسه، ولابد لنا مع ذلك ان ننهض بهذا الواجب، وان نستخلص منه زادا جديدا لمواجهة اعباء الحياة ونستمد منه قوة جديدة للنهوض بمسؤوليات الكفاح. ذلك ان الفقدان ايها الاخوة جزء لا يتجزأ من معاناة الحياة نفسها بكل ما فيها من جوانب قاسية وخبرات مريرة ولكنه ايضا جزء مكمل لتجربة الحياة كلها، بما ينطوي عليه من قوة دافعة لا تتوقف والخسارة الاليمة التي نحسها جميعا، اليوم خسارة فادحة تنوء تحت ثقلها النفس ومع ذلك فأننا لا نملك الا ان نجد في تلك الخسارة نفسها ما يزودنا بالعزم على مواصلة السير في الطريق والقدرة على استجلاء معالمه والتصميم على استكمال الرحلة التي بدأها زميل لنا وأخ في الكفاح وقطع فيها شوطاً طويلا، فكان في ذلك مثلا ومنارة وعلامة مشرقة من علامات العزم الصادق والجهد المبذول.

وتلك ايها الاخوة هي القيمة الحقة للانسان، ونحن وان كنا نفتقد كامل الجادرجي: العمل الصادق الجار في سبيل مثل اعلى، والتضحية السخية غير المضمونة من اجل مبدأ يؤمن به الانسان ، ويخلص له الجهد. ان الانسان الفرد، قد يذهب عن زملائه واخوته، ويبارح الصفوف، ولكن ما يمثله هذا الانسان من عقيدة وخلق وايمان ، وما يضربه من مثل وما يتركه وراءه من اثر في النفوس والقلوب، ذلك كله لا يمضي قط ولا تمحوه الايام ولا تنال منه يد الموت القاسية.

ايها الاخوة الزملاء، ليس في نيتي اليوم ان اسرد عليكم التاريخ الطويل المجيد لحياة كامل الجادرجي ولا ان اصف مراحل الكفاح الشاق النبيل الذي خاضه ولا ان اتتبع تطورات المعارك السياسية والاجتماعية التي رفع لواءها وبذل لها من ذات نفسه الكثير فان كامل الجادرجي علم من اعلام العراق الحديث وصورة باهرة لما يستطيعه الانسان العربي، في هذا الفترة الحافلة الزاخرة من تاريخ الوطن العربي، وانتم جميعا اعرف الناس بما نهض به الفقيد من اعباء جسام وما ادى لوطنه واهله من اعمال مجيدة.

وانما يهمني الان ان اؤكد دلالة بعض ما كانت تمتاز به حياة الرجل من قسمات مشرقة، وملهمة ففي ذلك وحده خير تكريم للمبادئ التي اعتنقها ودافع عنها، بصلابة الابطال ،وعزم المؤمنين وايثار اصحاب العقيدة، وصفاء رجال الفكر وحنكة السياسيين في وقت معا.

وفي ذلك وحده تكمن قيمة حياة الرجل، وان ذلك وحده يكمن ان يكون لهذا الاحتفال مغزاه، ولا ينبغي ان تكون مثل هذه الاجتماعات محافل تلقى فيه الكلمات، بل ينبغي النظر وبخاصة في هذه المرحلة الدقيقة الحاسمة من مراحل حياة الوطن العربي، ان نجد في هذه الاجتماعات فرصة لتجديد القوة على الدفاع عما كان يؤمن به زميلنا الراحل ولاستخلاص الدرس الذي تلهمنا به حياته، وتعميق الدلالة التي يمتاز بها كفاحه ومواصلة السير على النسق الذي اختطه وارتاده وقطع فيه شوطا طويلا، لقد ناضل كامل الجادرجي ، في قيادة الحزب الوطني الديمقراطي منذ الثلاثينيات من هذا القرن، وكان نضاله وسيبقى دائما، صفحة ناصعة من صفحات تاريخنا الوطني لا في العراق وحده، بل على صعيد الوطن العربي كله.

وما احوجنا اليوم الى مثل صلابة الجادرجي في الوقوف مدافعا عن مبادئه والى مثل ثباته النادر في مواجهة كل المحن والعقبات والى مثل احتماله لضريبة العقيدة ولو كانت الضريبة ثقيلة باهظة.

لقد دفع الجادرجي الثمن من حريته الشخصية افتداء لحرية شعبه، في احلك فترات القمع التي مربها شعبه، واحتمل فترات السجن والاضطهاد بجنان راسخ وايمان لايتزعزع.

وكان من ابرز القسمات في كفاح هذا الرجل التصاقه الحميم بجماهير شعبه، وفهمه العميق لما تتطلبه الجماهير وايمانه الوطيد بحقوقها وتضحياته التي لاتقف عند حد في سبيل تحقيق امانيها المشروعة.

ووقف الجادرجي مدافعا عن حرية العراق واستقلاله الحق، وسيادته الاصيلة، باذلا كل ما يسعه من جهد للحفاظ على وجه العراق العربي الاصيل، والذود عن خصائصه القومية الجوهرية، ضد الجرائم والخيانات والمناورات والمكائد التي ارتكبها عملاء الاستعمار وغلاة الاقطاع والرجعية.

وقد تجاوز الجادرجي في نضاله السياسي والاجتماعي رقعة العمل على الصعيد الوطني اذ كان مؤمنا بحق ان الكفاح الوطني انما يرتبط ارتباطا وثيقا بالكفاح على الصعيد الاجتماعي ايضا، ولذلك تبنى الجادرجي مطالب الجماهير الشعبية الكادحة وكان من اوائل اولئك الرجال الرواد في الوطن العربي اولئك الطلائع الذين اتسعت افاق نظرائهم، وامتدت بصيرتهم على نطاق فسيح فأقاموا الصلة الحقيقية بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية. ولكن الجادرجي الى جانب ذلك استطاع بوحي من الفكر المتعمق الدقيق ان يقيم صلة اخرى حقيقية وأصيلة، بين الكفاح الوطني والسياسي والاجتماعي في داخل حدود وطنه، وفي خارجها على السواء كان ايمانه وطيدا بالروابط العضوية المتينة التي تصل بين العراق والوطن

لقد دفع الجادرجي الثمن من حريته الشخصية افتداء لحرية شعبه، في احلك فترات القمع التي مربها شعبه، واحتمل فترات السجن والاضطهاد بجنان راسخ وايمان لايتزعزع. وكان من ابرز القسمات في كفاح هذا الرجل التصاقه الحميم بجماهير شعبه، وفهمه العميق لما تتطلبه الجماهير وايمانه الوطيد بحقوقها وتضحياته التي لاتقف عند حد في سبيل تحقيق امانيها المشروعة.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

العربي ككل، وكوحدة لا تتجزأ يتداعى بعضها للبعض..
وينهض بعضها بالبعض، في تكافل وتكامل وتضافر لايمكن ان تنبت اواصره.
وكان الجادرجي الى ذلك كله من اكبر المناضلين ايمانا بالتضامن بين الشعوب المكافحة جميعا، في آسيا وافريقيا وقد كان من اوائل العاملين في صفوف التضامن الافريقي الاسيوي، ذلك ان الضمان الحقيقي لحرية شعب هو حرية الشعوب جميعا، فالحرية قيمة لا تتجزأ وهي قيمة متكاملة لا يصيب الوهن او التخلخل احدى حلقاتها الا اصابها جميعا الضعف والتهاوي، في الوقت نفسه.
تلك اذن هي الدروس التي نتلقنها من كفاح الجادرجي فتلهمنا بالعزاء الحق عن فقدانه وتؤكد في حقيقة الامر، بقاءه بين صفوف المكافحين بالروح والمثل والفكرة وان كان قد بارح هذه الصفوف، بالشخص والجسد وأورثنا جميعا لوعة الفقدان ولواعج الأسى: تلك الدروس التي نتلقنها من كل مكافح سياسي واجتماعي عصيم ن االايمان بقضية الشعب والدفاع عن مطالب الجماهير والصلابة في مواجهة المعتدين والمستعمرين والرجعيين والتضحية والايثار والخلق العالي باعتبارها القيم الاصيلة التي تتكون منها مقومات العمل السياسي بمعناه النبيل ثم العمل الجاد المؤسس على عقيدة ثابتة استهدافا لتوثيق اواصر وحدة الوطن العربي وتعميق التضامن بين الشعوب المكافحة في جميع انحاء افريقيا وآسيا.
وفي يقيني ايها الاخوة ان الشعب العظيم الذي انجب كامل الجادرجي قادر على ان يقدم من بنيه ابطالا يتلقون منه لواء الكفاح ويرفعونه خفاقا ويذودون عن القيم الرفيعة التي يرمز اليها، ويدافع عنها ويسترخص كل تضحية في سبيلها، ونحن جميعا في انحاء الوطن العربي وفي كل انحاء العالم الافريقي الآسيوي العظيم انما نلتزم بالعهد هنا ونقطع على انفسنا الميثاق ان كان شيء في الطريق وان تبذل في كل ما في الطاقة من جهد وقوة وحتى تبلغ شعوبنا الاهداف التي عمل من اجلها كامل الجادرجي وقضى حياته كلها يعمل على تحقيقها، اهداف الحرية والاستقلال الحق والسيادة والكرامة القومية، والعدالة الاجتماعية والديمقراطية الاصيلة والسلام والبناء.
فليكن العراق دائما كما اراده فقيدنا ان يكون قبلة الوحدة العربية وليكن قلعة من قلاع الشعب العربي الصامد، وليكن قوة فعالة مؤثرة من قوى العالم الافريقي الاسيوي، وقوى الانسانية السائرة في ركب التقدم والرفاهية والابداع.

هذا المقال للاديب المصري الشهير يوسف السباعي نشر عند وفاة الجادرجي وقد عادت جريدة التآخي نشره

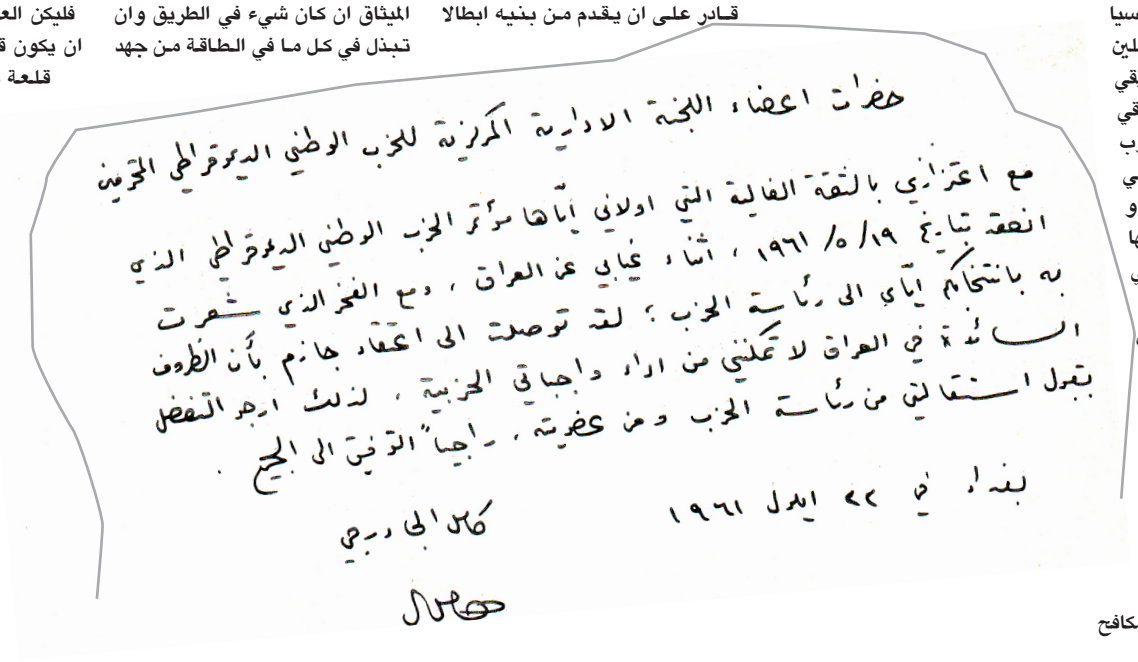
حضرات اعضاء اللجنة الادارية المركزية للحزب الوطني الديموقراطي المحترمين
مع اعتزازي بالثقة الغالية التي اولاني اياها مؤتمر الحزب الوطني الديموقراطي الذي انعقد بتاريخ ١٩/٥/١٩٦١، اثناء غيابي عن العراق، ومع الفخر الذي شعرت به باشتغالكم اياي الى رئاسة الحزب؛ لقد توصلت الى اعتقاد جازم بأن الظروف الراهنة في العراق لا تمكنني من اداء واجباتي الحزبية، لذلك ارجو التفضل بقبول استقالتي من رئاسة الحزب ومن عضويته، راجيا التوفيق الى الجميع.
بغداد في ٢٢ ايلول ١٩٦١
كامل الجادرجي

كامل الجادرجي والقضية الكردية

د.سلمان شمسة

يشير المؤرخ العراقي المعروف عبد الرزاق الحسني إلى أن القضية الكردية من القضايا الخطيرة والمعقدة في تاريخ العراق السياسي منذ تأسيس الدولة العراقية في شهر آب من عام ١٩٢١ . وهي قضية هامة في حياة الشعب العراقي كانت وستبقى مؤشراً لمدى الإستقرار الذي ينشده الشعب العراقي بأطيافه المختلفة.

نالت القضية الكردية اهتماماً كبيراً من الحزب الوطني الديمقراطي ورئيسه رائد الديمقراطية في العراق كامل الجادرجي منذ تأسيسه عام ١٩٤٦. فلقد تضمن منهج الحزب ونظامه الداخلي ما يلي: (يعتبر الحزب، الوطن العراقي ميداناً للتعاون الحر على أساس المصلحةالمشتركة بين العرب والأكراد وغيرهم من العناصرالتي يتكون منها العراق ، لهم فرص متساوية لإنماء قابلياتهم الفردية والمساهمة في تقرير السياسة العامة) (الجادرجي، المذكرات، ص٥٢٤). وكان رأي الجادرجي أن الأكراد يمثلون قومية لها لغتها وخصائصها، ودعا إلى ضرورة منحهم حقوقهم القومية ضمن أطار الوحدة الوطنية ومشاركتهم العرب في الحكم. وكانت تلك الدعوة في ذلك الوقت غاية في الجرأة وتعبر عن نظرة سليمة وعميقة للمسألة القومية وتعقيداتها. وقد تطور ذلك الفهم أكثر حينما وضع الجادرجي نصاً أكثر تحديداً في منهج (حزب المؤتمر الوطني) الذي حاول تأسيسه بعد إيقاف حكومة نوري السعيد الحزب الوطني الديمقراطي عن العمل في عام ١٩٥٦، حيث تضمنت المادة السادسة منه ما يلي: (يعمل المؤتمر على تعزيز التعاون بين المواطنين كافة وذلك باحترام وصيانة حرياتهم، ويعتبر العرب والأكراد شركاء في الوطن ويدعو إلى احترام حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية). وقد تضمن الدستور المؤقت نفس الفقرة أعلاه بجهود قادة الحزب الوطني الديمقراطي الذين شاركوا في أول وزارة بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

ورغم العلاقات الطيبة التي أرستها قيادة ثورة ١٤ تموز مع الحركة الكردية من خلال اتخاذ العديد من الخطوات سواء ما تم تثبيته من حقوق الشعب الكردي في الدستور المؤقت المشار إليها أعلاه أو الإستقبال الجماهيري الحار الذي استقبل به القائد مصطفى البارزاني بعد عودته من منفاه في الإتحاد السوفيتي. إلا أن تلك العلاقة الجيدة لم تدم أكثر من عام ، حيث تدهورت عقب إعلان الحزب الديمقراطي الكردستاني في ٦ أيلول من عام ١٩٦١ الإضراب السياسي العام احتجاجاً على سوء الأوضاع في كردستان وعدم وفاء الحكومة بوعودها تجه الأكراد، مما أدى إلى الإصطدام بين الحركة الكردية وحكومة عبد الكريم قاسم، والذي أضرَ بصورة مباشرة بالطرفين على حدٍ سواء.(لا مجال الآن للتفصيل بهذا الموضوع، لأنه يمثل إحدى الإنتكاسات الهامة في تاريخ العراق الحديث ويتحمل مسؤوليتها أكثر من طرف وبنسب متفاوتة)

وقد عقد الجادرجي خلال تفجر الأوضاع تلك مؤتمراً صحفياً في داره بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٦٢ تعرض فيه إلى الوضع في كردستان وحقوق الأكراد القومية ، مشيراً إلى أنه من الخطأ اعتبار ما جرى ويجري في كردستان العراق هو مجرد تمرد أو عصيان، مؤكداً على ضرورة الإعتراف بحقوق الأكراد القومية ضمن الوحدة الوطنية وعلى ثبات موقف الحزب الوطني الديمقراطي بدعمه للشعب الكردي في نضاله من أجل الحصول على حقوقه كاملة. كما وقع في أيار ١٩٦٢ مع عدد كبير من المفكرين العرب عريضةً رُفعت إلى عبد الكريم قاسم، تضمنت الدعوة إلى إجراء مفاوضات مع الأكراد. وحتى بعد إجهاض ثورة ١٤ تموز وقتل زعيمها على يد البعثيين بتلك الطريقة المفجعة وتفجر الوضع في كردستان مرةً أخرى لم يوقف الجادرجي جهوده من أجل حل سلمي للقضية الكردية،

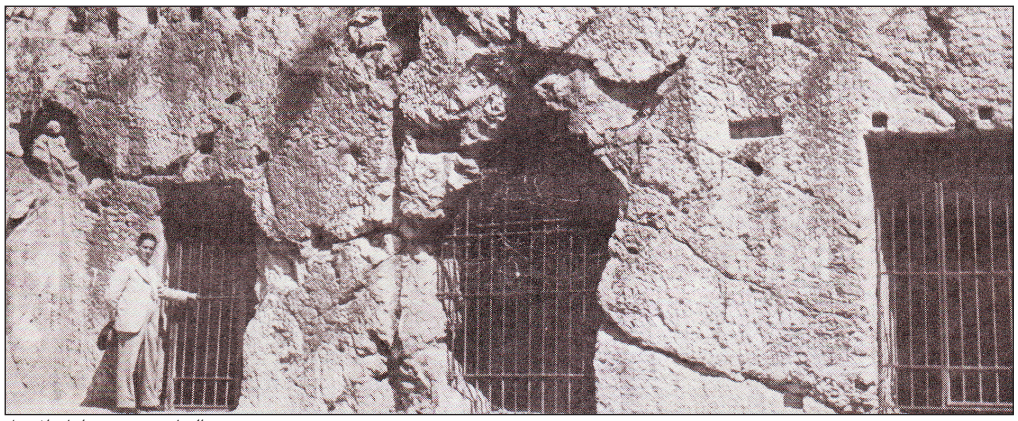
الجادرجي يقف امام المعتقل

حيث رفع مذكرة في مايس ١٩٦٣ إلى عبد السلام عارف مطالباً براب الصدع الذي تعرضت له الوحدة العراقية، ومعالجة القضية الكردية بروح موضوعية َتقر ما للقوميات الأخرى من حقوق وواجبات ...(الجادرجي، الأوراق، ص١٥٦،١٥٥).
من خلال كل ما أشير إليه أعلاه وغيره يتضح بأن الجادرجي دعا إلى ضرورة منح الأكراد حقوقهم القومية، ضمن الوحدة العراقية، ورأى في ذلك الوسيلة الملائمة آنذاك لحل الأزمة الكردية. وقد عبر ذلك عن نظرة إنسانية متقدمة، واتسم موقفه بالجرأة خصوصاً خلال فترة عبد الكريم قاسم ... وأكد على أن ما يجري في المنطقة الكردية يمثل قضية شعب له قوميته ولغته وتقاليده، ودعا إلى ضرورة إيجاد حل سلمي للمشكلة بما يضمن الأمن والإستقرار في ربوع البلاد.(الدليمي محمد، كامل الجادرجي، ص٢٨١)
فأذا تصورنا أن رأي أحد أعرق الأحزاب وأكثرها وطنية وديمقراطية هو بما جرى عرضه أعلاه قبل أكثر من ستين عاماً إرتباطاً بنضال الشعب الكردي خلال تلك الفترة وما قبلها والتضحيات التي قدمها هذا الشعب العنيد والمناضل من أجل حقوقه، فهل يبقى من تبرير لمواقف مُدعي الديمقراطية من قوميين عرب متطرفين أو مدعين للديمقراطية وغيرهم من التردد أو التنصل عن اتفاقيات ووعود حول حق الشعب الكردي بتقرير مصيره من خلال فيدرالية ضمن وحدة الشعب العراقي كله وبما يرونه مناسباً لهم ؟

الحزب الشيوعي العراقي
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

الجادرجي مات شهيداً في سبيل فكرة ناضل من اجلها

لم يمت شهيداً في ساحة حرب، ولكنه مات شهيداً في سبيل فكره، ناضل من اجل تحقيقها طوال حياته، واذا كان قد غاب عن الدنيا قبل ان يراها تحققت كاملا، ولكنه ذهب مطمئناً اذ رأى طلائع تحقيقها. كامل الجادرجي..الرجل الديمقراطي الحر..والرجل العربي القائد.. والرجل الخلوق والخلاق.. كامل الجادرجي هذا، عاش حياة النضال في سبيل فكرته الديمقراطية الحرة.. واذ غيبه الموت، ترك لاشياعه في الحزب الذي اسسه وقاده –الحزب الوطني الديمقراطي –متابعة العمل بالرسالة التي رفعوا لواءها.

الجادرجي اثناء محاكمته

جورج حنا

ماتوقف عن النضال، حتى في حين اصبح مسناً ومتعباً ولا اوقفته عن النضال، المنافي والحبوس، التي شرفها كامل الجادرجي بوجوده فيها مرات ومرات..

فكان الرجل الذي نخشع لذكراه اليوم، المثل الحي للانسان العربي، اللا اكثر منه اخلاصا لعروبته، واللا اكثر منه اخلاصا في انسانيته واللا اكثر منه تفهما للقضايا العربية المصيرية.

قبل ان عرفته شخصياً كنت اعرف عنه ما يشوقني الى ان اجتمع معه وجها لوجه فاجأتني الفرصة بعد ثورة عام ١٩٥٨ اذ كنت قبلها على اللائحة السوداء في القطر العربي الشقيق لا يسمح لي بدخوله والتعرف عن كثب الى شعبه الجبار في كفاحه ضد الاستعمار وضد حليفته الرجعية ، المالكة سعيداً في العهد- الملكي النور سعيدي –... تتحدى شعبا جبارا ليس سهلا ان يتحداه احد.

ما ان وصلت الى بغداد حتى شرفني هذا الرجل الكبير بزيارته لي بالفندق في اليوم التالي لوصولي، ومن اللحظة الاولى وجدتني امام رجل هو صفوة الاخلاص لعروبته وصفوة الانسانية في اخلاقه..عربي ينشد لامته ما تستحقه من العزة والكرامة والحرية حرمها منها الاستعمار في العهد المباد، وقد جاءت اليوم الفرصة لتصفية الحساب بيننا وبينه.

احببته من اول نظرة..وجه قلما تفراقه الابتسامة الحلوة..وقلب مفتوح لكل انسان.. وكلمته هي كلمة الحق، لا موارية فيها ولا مداورة..تقدمي ليس من يشك بتقدميته..مخلص لشعبه، ومتفان في خدمة الشعب الذي احب من صميم قلبه، كما كان الشعب يحبه من صميم قلبه.

وشرفني هذا الرجل الكبير بصداقته.. فكانت صداقته عندي من أغلى الصداقات..فكلما كنت اسمع بقدومه الى لبنان، اذهب على التوالي حيث هو يكون، لأخذ منه الحقيقة العراقية، واعرف رأيه فيما عقب الثورة من احداث ، اختلفت فيه الاراء والاقوال، كل يقول فيها حسبما هو يرغب في ان تكون فمن كامل الجادرجي وحده، تأخذ الحقيقة كما هي، اذ هو براء من أي تحيز شخصي لا يهتم الا بالعمل من اجل ان يحصل الشعب العراقي واشقاؤه في الاقطار العربية الاخرى على حقهم، في الاستقلال والعزة والكرامة في حكم ديمقراطي تقدمي لايظلم فيه احد، ولا يدان فيه احد، الا من يستحق الادانة ومنذ ذلك الحين حتى الامس القريب، كنا نلتقي معا بين ان واخر..اسأله رأيه، ويتنازل هو ويسألني رأيي.. فأخرج من اللقاء وكأني في قلب العراق، اذ ليس من يعرف الحقيقة واصدق من يقولها اكثر من كامل الجادرجي ، فهو اذا اعتمد مبدأ او اعتنق عقيدة يخلص لها، ويعمل لها، ويناضل في سبيلها، متى كانت تنيل شعبه العراقي والشعوب العربية الشقيقة ، ما تطمح اليه من حرية وتقدم ورقي، يتسع صدره لكل نقد، متى كان الناقد مخلصا في نقده اخلاصه هو لعقيدته ومبدئه.

لم يكن كامل الجادرجي هو من قام بالثورة وقادها الى النصر وانما جاءت ثورة الرابع عشر من تموز، من وحي فكرته الديمقراطية والتقدمية وبقدر ما ابهجت كل التقدميين العرب وغير العرب، بهذا القدر نفسه بل اكثر منه، كانت نقمة الاستعمار وأهل الرجعة عليها.. يحاولون ما امكنهم مقاومتها، وتضيع مكاسبها.

كانت الثورة بالاصل ثورة وطنية شعبية تقدمية ولكنها ما لبثت ان اخرجت عن خطها الصاعد، عندما اشتدت نقمة الاستعمار وعملائه عليها.. مستعملين كل ما لديهم من وسائل اعلامية وغير اعلامية، وناجحين في اثارة الفئات الوطنية على بعضها تارة باسم القومية والوحدة وطورا بالتهويل بفزاعة الخطر الشيوعي المزعوم.

انان نحن العرب بأمس الحاجة الى قيادات شعبية من طراز كامل الجادرجي..

علما واخلاقا واخلاصا.. لاسيما في هذه الايام العصيبة التي نمر بها ، فنكبة الخامس من شهر حزيران الذي مضى ما اظنها كانت تكون كما كانت ولا كان حصل ما حصل قبلها وبعدها لو كانت كل القوى التقدمية في البلاد العربية وقفت وقفة واحدة، وتركت خلافاتها الصغيرة ونظمت نفسها تنظيما واحدا على اساس عملي واخلاقي واخلاصي، اما وقد حصل ما حصل ، وما فات.. فات ، فعلى القوى التقدمية كلها، وفي كل بلد عربي ان تعيد النظر بتفكيرها وباساليب نضالها وان ترص صفوفها وتمشي في الطريق التي مشاها الرجل التقدمي الكبير كامل الجادرجي، ان القوى التقدمية وحدها تستطيع بعد ان افلست القوى السياسية والاجتماعية العربية التقليدية السائرة الان في طريق الانهار، ان ترتفع الى مستوى مسؤولية مجابهة اخطار الوجود الاستعماري الصهيوني في دنيا العرب.

ان العدو الصهوني الذي شكه الاستعمار خنجرا في قلوبنا يتربص بنا، وهو يدافع عن الاستعمار الذي خلق منه دولة اسمها دولة اسرائيل، لايكف عن شن العدوان تلو العدوان مرة على هذه الدولة العربية ومرة على تلكز

وليس هذا بعجيب من دولة ما خلقها الاستعمار الا لكي تخدمه في شق الدول العربية ومنعها من ان تتحد مخافة القضاء عليه اذا اتحدت ووقفت صفا واحدا ضده.. فأما ان تتخلى الدول العربية عن خلافاتها، وتقف حزمة واحدة ضد الاستعمار وربيبته اسرائيل فتحصل على ماهي وشعوبها ترغب وتستحق ..واما ان تستمر في خلافاتها وتبقى معرضة للاذلال والعدوان من قبل عدو غادر. ان مأساة الخامس من حزيران الذي مضى، يجب ان تكون درسا لنا.

وما اظن ان العدو سيكتفي بها، اذ ان عينه على كل البلدان العربية محاولا خلق دولة صهيون الكبرى من النيل الى الفرات الى جبل الارز.. والاستعمار بكل ما لديه لبلوغ غايته الجشعة.

ان عالم اليوم هو عالم الشعوب.. وعالمنا العربي هو لشعوبه لا لمن يطمعون باستغلاله ونهب موارده وخيراته كما كان الامر في الماضي. فاذا تمكنت جبهة القوى الوطنية والتقدمية من حمل الحكومات العربية على السير وفقاً لرغبات الشعوب العربية كما كان يريد كامل الجادرجي ، عندئذ نفقا حصرمة في عين العدو، ونتخلص من الكابوس الصهيوني، ونتحرر كذلك من كابوس الاستعمار بكليته، ولايسعني في ختام هذه الكلمة، الا ان ابعث تحية اكبار من صميم القلب الى القطر العربي الشقيق.. املا ان اراه قبل غروب شمسي، يحتل المكانة التي يستحقها في صفوف الدول والشعوب المتقدمة، اذ بذلك نسهم نحن العرب، في مساعي من يعملون من اجل احلال السلام في العالم اجمع، فنحن العرب ، نملك طاقات هائلة.

طاقات بشرية وطاقات مادية تمكننا من ترجيح كفة السلام ..السلام العادلن الذي يفتح الباب لعدالة اجتماعية شاملة.. وليس سلام القوة الذي يتحدث عنه، ممن كلنا يعرف. فاذا كان كامل الجادرجي قد غاب عن الدنيا، ففي شعوبنا العربية (جادرجيون) كثيرون.

هذا المقال للكاتب اللبناني جورج حنا نشر بعد وفاة كامل الجادرجي ١٩٦٨

ما ان وصلت الى بغداد حتى شرفني هذا الرجل الكبير بزيارته لي بالفندق في اليوم التالي لوصولي، ومن اللحظة الاولى وجدتني امام رجل هو صفوة الاخلاص لعروبته وصفوة الانسانية في اخلاقه..عربي ينشد لامته ما تستحقه من العزة والكرامة والحرية حرمها منها الاستعمار في العهد المباد، وقد جاءت اليوم الفرصة لتصفية الحساب بيننا وبينه.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

فضيلة المجابهة عند كامل الجادرجي

عبد الغني الملاح

ليس من السهل تجسيد النواحي الانسانية عند الرجل الذي يعتبر فضيلة المجابهة اساسا للسلوكية السياسية وأساسا لقيادة المجتمع.

في التاريخ نوعان من الرجال نوع يصنع الاحداث ونوع آخر يستغل الاحداث عند ولادتها، فمثلا فولتير ومونتسيكيو وروسو صنعوا الثورة الفرنسية، ثم استفاد منها نابليون.. وغاندي صنع استقلال الهند، ثم استفاد من هذا الاستقلال حزب المؤتمر الهندي.. والذين يصنعون الاحداث في معظم الاحيان يمتازون بفضيلة المجابهة، وكثيرا ما تكون هذه الفضيلة مدعاة للنقد من قبل اولئك الذين يقيسون أبعاد التاريخ بالمصالح الانية، لان سلوكية المجابهة التي يتصف بها الرجل العظيم تكون بمثابة المصيبة العامة فتتألب عليها كل ازدواجيات المجتمع وكل فردية التيارات.. وبقاء مثل هذا الرجل في قيادة حزبه او مجتمعه مرهون بصدقه وقوة شخصيته وسعة اطلاعه ووضوح الرؤية لديه.

وفي رأيي ورأي الكثيرين ان كامل الجادرجي كان احد اولئك القلائل الذين اتصفوا بالاضافة الى فضيلة المجابهة بقوة الشخصية وصدق القول ونبل الهدف، وهو احد الذين تحملوا اضطهاد اهل زمانهم لتمسكهم بالفكر ورفضهم المساومة على حساب مصالح الاكثرية من اهالي الوطن، واعتبار مجابهة المسيئين باساءاتهم من اهم سبل النضال السلبي.

هناك ظاهرة اجتماعية تعتبر التمسك بالبدايات الطيبة اهم من السير وراء تلك البدايات ، كما لاحظ ذلك المؤرخ الروماني "ستاللوت" الذي عاش ما بين ٨٦-٤٣ ق.م، لأن التمسك بالبدايات الطيبة كثيرا ما يكلف المتمسكين بها متاعب كثيرة، من حيث ان الدروب امام تلك البدايات ليست معبدة المسالك دائماً وليست واضحة المعالم على الاغلب، وربما حاول "الجادرجي" بفضيلة المجابهة التي يتمتع بها ان يحد من انحراف البدايات الطيبة التي كان يتمسك بها بمفهومها الانساني للديمقراطية، ومن هنا هل نقدر ان نقول ان الجادرجي باصراره على الديمقراطية كبداية طيبة اراد ان ينقض راي "سالوت" في قوله "تنشأ جميع الامثلة السيئة من بدايات طيبة"..؟ أم ان الجادرجي نفسه شذ عن هذه الظاهرة فعاش ومات وهو يتمتع بفضيلة المجابهة من اجل ترصين قواعد الديمقراطية من دون ان تحرف خط سيرة الاحداث؟

التي ارفض القول بأن الجادرجي لم يكن ذا مطامح لأن مفهوم المطامح ينشطر الى شطرين، الاول هو الذي يستغل اصحابه الاحداث للمنافع الانية او الشخصية، فردية كانت ام حزبية، والثاني هو الذي يستغل اصحابه الاحداث لايجاد قاعدة عامة تسعد اكثر ابناء المجتمع ، كاقتراح تشريعات انسانية تفك القيود عن حريات الناس العامة وحقوقهم المشروعة واخلاقهم المقيدة بالتقاليد ووعظ السلطان، مما ينمي المشاعر الوطنية ، ويحدد الاهداف القومية ، ومما لاشك فيه ان مطامح الجادرجي كان يمثلها الشطر الثاني ، ولذلك بقي قويا في حزبه وفي مجتمعه وفي سلوكيته، وقد ادرك الجادرجي منذ عام ١٩٣٦ ان مطامحه لاسعاد اكثرية ابناء الشعب لايتورع "المغامرون" من استثمارها ، ولكن هذا الادراك لم يحرفه عن فضائله في المجابهة، ولم يمنعه من الاستمرار في الدعوة للديمقراطية نظاما صالحا للحكم.

آمن الجادرجي بالديمقراطية اسلوبا لتحقيق الاهداف الاجتماعية كما آمن بالاشتراكية عقيدة ثابتة يمكن تحقيقها بالديمقراطية من دون التضحية بسعادة الانسان او كفاءته أو وجوده. ومن اجل هذا نراه دائماً يرفض اعطاء حق الاقلية في اغتصاب حقوق الاكثرية الا في حالات تكون حقوق الاكثرية نفسها معرضة لخطر الاجنبي او خطر دموي، مخالفا، بهذا النظرية الماركسية بقدر ما يتعلق بثورة الاقلية على الاكثرية، ومتفقا معها بما يتعلق بالتطور العلمي للمجتمع ونحن لا نعتبر هذا الكلام غامضا او متناقضا ، لأننا نكاد نلمس فوارق معينة ما بين المفهوم السياسي وحتى اللغوي لاصطلاح "الاشتراكية الديمقراطية" واصطلاح "الاشتراكية المطبقة بالوسائل الديمقراطية" ، كما اننا لا نشك ان الاصطلاح الثاني هو الذي عناه وتبناه الجادرجي خلال نضاله السياسي.. ولا نشك بان المجتمع بحاجة الى كثير من العناء والتجربة وكثير من الدقة لوضع الفواصل الثابتة بين المفهومين.

كما ان الجادرجي كان قد استوعب من خلال كفاحه السياسي حقيقة الظرفية التي عاشها وأدرك ان المجتمع العراقي الذي عاصره كان يضم بين طياته شعباً متخلفاً اقتصادياً وفكرياً واجتماعياً يفتقر الى النضوج السياسي مثلما يفتقر الى صدق الرعاية والتوجيه الديمقراطي الصحيح، وكل ذلك ناتج من ثقل العصور التي مرت على العراق بعد وقبل سقوط الدولة العباسية، وعليه رفض دائماً وبكل اصرار ديمقراطية النزكية وديمقراطية الفئة الحاكمة وديمقراطية الصفوة التي يرضى عنها الملك او من هم وراء الملك.. وناضل من اجل ديمقراطية مستوحاة من الحريات العامة وحقوق الانسان، غير خاضعة لايحاء متنفذ او ضغط حاكم او شفاعة شفيع، او رشوة اقطاعي.. ديمقراطية تنفذ فيها الاقلية قرار الاكثرية وتضمن الاكثرية فيها حق الاقلية في التعبير بشتى وسائله الاعلامية، يمارسها الشعب ذكورا واناثا بحرية، مقتنعا بأن الشعب يدرك اين تقع مصالحه، ولم يحدد الجادرجي زمنا مرحليا لتنفيذ مثل هذا النظام الانساني، لان تنفيذه رهين بمدى النهوض الفكري والاستعداد النفسي عند ابناء الشعب، وجريدة الاهالي منذ ان تبناها الجادرجي كانت توضح بشكل لا لبس فيه معنى القيم الانسانية في ايجاد نظام ديمقراطي سليم يحول دون تبني النظم التي ترتكب في ظلها الاساءات تحت ستار عمل الخير، وتدعو الى اقامة حكومة شعبية من النوع المجحف بحق الحرية والجماهير باسم الحرية والجماهير..

هناك ظاهرة اجتماعية تعتبر التمسك بالبدايات الطيبة اهم من السير وراء تلك البدايات ، كما لاحظ ذلك المؤرخ الروماني "ستاللوت" الذي عاش ما بين ٨٦-٤٣ ق.م، لأن التمسك بالبدايات الطيبة كثيرا ما يكلف المتمسكين بها متاعب كثيرة، من حيث ان الدروب امام تلك البدايات ليست معبدة المسالك دائماً وليست واضحة المعالم على الاغلب، وربما حاول "الجادرجي" بفضيلة المجابهة التي يتمتع بها ان يحد من انحراف البدايات الطيبة التي كان يتمسك بها بمفهومها الانساني للديمقراطية، ومن هنا هل نقدر ان نقول ان الجادرجي باصراره على الديمقراطية كبداية طيبة اراد ان ينقض راي "سالوت" في قوله "تنشأ جميع الامثلة السيئة من بدايات طيبة".

واذا كان ابناء الشعب قد يخطؤن الرؤية في القضايا العامة فاحساساتهم قلما تخطئ في تشخيص دوافع قضايا معينة وانطلاقا من هذه القاعدة كان الجادرجي يواجه المسؤولين بمذكرات واضحة لا لف فيها ولا دوران يناقش فيها دوافع قضايا معينة كلما ارادت السلطة تمريرها على الشعب.

ومن اجل هذا اتهم بالسلبية السياسية وفي الحقيقة لم تكن سلبيته هذه غير ايجابية تاريخية، لانها لم تنطو على المناورة السياسية ولم تقصد المساومة على قضية معينة ولم تهدف مكسبا فرديا أو حزبيا، وكانت دائما اهدافه واضحة لاتغلفها شعارات مبهمة يتوقع ان تفسرها له الظروف، وقد أحس الجادرجي احساسا عميقا بوجود نتؤات سياسية او اجتماعية تقصد استغلال الظروف فأراد ان يقف حائلا بينها وبين مستقبل الاهداف النبيلة للحزب الوطني الديمقراطي فثبت ذلك في مذكراته الاشتراكية المؤرخة في ١٥-٨-١٩٤٧ ، ورغم ان مرامي تلك المذكرة لم تقصد الظواهر الفردية التي نشأت خلال مسيرة الحزب الوطني الديمقراطي الا انها قد حددتها باحساس عميق فنجده يقول:

"ينبغي لنا ان ندرس هذه القضية درسا وافيا لامتحان بعضنا البعض الاخر امتحانا حقيقيا يستند الى قواعد علمية ويحدد موقفنا من جميع اعضاء الحزب، وفي رأيي ان هذا لايمكن تحقيقه الا اذا عينا فلسفة ثابتة للحزب".

ومن المؤكد انه اراد بهذه المجابهة التي جابه بها اللجنة المركزية –انذاك– ان يوقف احتمال المتموجات التي قد تدفع بها الاحداث الحزب الوطني الديمقراطي فيضطرب ويتموج ذات اليمين وذات الشمال من دون ان تكون له قاعدة امينة وفلسفة ثابتة.

وقد اعتبر الجادرجي بذلك التمسك بالعقيدة من خلال تفاعلها وتطورها اهم من التمسك بالفرد، ومثل هذه النظرة جعلته يفقد كثيرا من اخلص اصدقائه ، لقاء التمسك بمفهوم المجتمع الديمقراطي، لان مثل هذا المجتمع لا تستطيع الزعامة فيه ان تنتحل لنفسها سلطة بطولية محاطة بهالة من القدسية وهالة من الاجراءات الرسمية، ان المجتمعات الديمقراطية تعتبر سيادة القانون اهم من صناعة القانون من حيث ان الحكومة تستمد بقاءها القانوني من الموافقة التي يعطيها الشعب المحكوم عطاء حرا ، وبهذا يصبح المجتمع بأسره مسؤولا عن السياسة والتدابير التي تمارسها الزعامة الديمقراطية حتى من خلال رأي المعارضة ، طالما تمارس حقها في التعبير من غير ان تتعرض للمطاردة أو العقاب على حرية القول، وعندما تصبح كل الاراء المناهضة للسلطة جزءاً لايتجزأ من قوة السلطة نفسها تنحل كل عقد الحكم وعقد الزعامة في اجواء ديمقراطية تسودها المحبة والثقة والبناء.

وكان كامل الجادرجي في كل مجابهة يطمح الى ايجاد مثل هذا المجتمع. ومن خلاله يطمح الى تطبيق الاشتراكية العلمية على اساس موافقة الاكثرية، لان موافقة الاكثرية تحول دون تقديم تضحيات بشرية لا مبرر لها، ومن هنا تظهر القيمة الانسانية لفلسفة اللاعنف والتي كانت تسير بخط مستقيم وموازٍ مع فضيلة المجابهة التي امتاز بهما الجادرجي.

ومهما تعددت التيارات ومهما تشابكت المصالح فأن التاريخ لا يمكنه ان يهمل رجلا مثل كامل الجادرجي كان له دوره الحقيقي والفعال فيه والذي لم يكن يفكر بالاستعادة الذاتية من تلك الاحداث، لأنه لم يكن يريد موضعا لقدم فيها بل كان يريدها كلها موضعا لاقدام جميع ابناء الشعب انصارا لفلسفته أو خصوماً.

وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل البعض يترددون في دراسة الصلة السببية بينه كظاهرة زمنية وبين الظروف التي جعلت هذه الظاهرة غير واضحة المعالم وهي في لجة الانتفاضات والانقلابات والاحداث في تاريخ العراق الحديث.

ان القول "بان كل فلسفة تقرر بأن البشر يستطيعون صناعة تاريخهم" يحتاج الى جهد فكري لقلبه من مجرد نظرية الى قاعدة عامة، كما انه يحتاج الى استقصاء موهوب لمعرفة الثقل الانساني للمثل العليا التي يتمتع بها الانسان الطامح لصناعة الاحداث، لان تلك المثل تكون راسخة في تعقد وتشابك الاوضاع العامة، ولا يمكن اهمالها من اجل ارضاء شخص او فئة ، فالاحوال التي يعمل في ظلها المجتمع هي اوسع قاعدة من الرغبة واعمق جذرا من المطامع البيئية.

واذا كان الجادرجي قد استطاع ان يقرر وجهة الخط الديمقراطي السليم ويتمسك به، فذلك لأنه احد القلة الذين امتازوا بالشعور الاكيد بالمسؤولية السببية والمسؤولية الادبية تجاه شعب نام يسير بدرب ملئ بالعقبات، في الوقت الذي لاشك فيه من وجود مستقبل ناصع وراء تلك العقبات ودور تاريخي حتمي ينتظر الشعب المكافح المتشبث بالاحسن دائما وابدا.

التآخي
١٩٧١/٢/١

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

شـــــذرات مـــن كـــتـــاب:

صورة اب

الحياة اليومية في دار السياسي كامل الجادرجي

رفعة الجادرجي

كامل رفعة الجادرجي من الشخصيات السياسية التي لعبت دورا مميزا ومؤثرا في التاريخ السياسي المعاصر للعراق. ولد في بغداد عام ١٨٩٧ من اسرة بارزة في موقعها الاجتماعي والفكري وكان والده رفعة الجادرجي يتولى منصب امين العاصمة ويؤم ديوانه ذوو الفكر والشعراء ورجال العلوم الدينية ، وقد برز كامل الجادرجي وهو بعد في عنفوان شبابه حين انتخب نائبا عام ١٩٢٧(أي في الثلاثين) ثم انتخب عام ١٩٣٠ عضوا في اللجنة المركزية لحزب الاخاء الوطني الذي كان يرأسه ياسين الهاشمي فتولى ادارة صحافة ذلك الحزب. وفي عام ١٩٣٣ انضم الى جماعة الاهالي، ليلج الفكر التقدمي ويصبح له موقعه القيادي في الحركة التقدمية حتى وفاته في الاول من شباط عام ١٩٦٨.

وبالرغم من ان الوقائع السياسية المتعلقة بحياة ونضال كامل الجادرجي معروفة لمن تتبع التاريخ المعاصر للنضال التقدمي في العراق، الان ان الكتاب الذي ألفه اكبر ابنائه السيد رفعة كامل الجادرجي بعنوان "صورة اب.. الحياة اليومية في دار السياسي كامل الجادرجي "يكشف جوانب غير معروفة عن شخصية قيادي سياسي خصوصا تلك الجوانب المتعلقة بسلوك الرجل داخل بيته ومع افراد اسرته بما تعكسه من جهة انها امتداد لسلوكه كشخصية عامة.

يقول رفعة: اذكر اخر زيارة قام بها محمود صبحي لابي، وهو يحدثه بعاطفة ظاهرة تنم عن الشوق، ويسترسل في استطردات متنوعة والوالد يصغي له، وبعد خروجه مباشرة بقينا انا وبلقيس مع ابي، فلاحظت علامات الاعياء ترتسم عليه فنزع نظارته وفرك عينيه كما يفعل المتعب الذي يحاول تجديد نشاطه وقال: ان الحديث او بالاحرى الاصغاء قد اجهده ثم تأمل قليلا واضاف يقول بنبرة جدية، عندما اخرف اريد منكم ان تبلغوني بذلك لانتبه علي وضعي فضحكنا لكنه نهرنا قائلاً بالنبرة الجدية نفسها، انا لا امزح فعندما يخرف الانسان لا يدري بنفسه ، ولايدري انه قد خرف.

لم يكن انقطاع والدي عن زيارة محمود صبحي مرده الى نزوة عاطفية بل هو موقف ينبع من عدم تساهل ابي قط في المسائل التي كان يعتبرها جوهرية ، فبالرغم من الصلة العريقة التي تربط بين الطرفين لم يتزحزح الوالد عن موقفه، ولم تكن تلك الصلة مجرد صلة القرابة المتشعبة والتي تتمثل بأن جدتي لأبي هي من بيت الدفتري وبأن زوجة محمود صبحي هي اخت الوالد الوحيدة والعزيزة جدا، بل هناك جذور اخرى قديمة، اذ ان رفعة جدي لأبي نشأ في طفولته يتيما فرعاه احد كبار عائلة الدفتري وكان كذلك وصياً عليه، بالاضافة الى ما كان يربط بين الطرفين من رفقة الطفولة الحميمة وصداقة الصبا الصميمية ومع اعتزاز والدي بكل هذه الاعتبارات، وبالرغم من ان الود المتبادل ظل سائدا بين الطرفين غير ان كل هذا لم يشفع عند والدي بشيء اذ تغير طابع العلاقة وكادت تبلغ حد القطيعة لا لسبب الا لأن والدي لم يستطع التساهل بشأن موقف الدفتري من مسألة يعتبرها جوهرية وهو الموقف الذي تجلى اولا بسبب تعريض بناته ليمين كاذبة لغرض حرمان بعض الاطراف من ميراث زوجته، ثم تغييره لمذهبه (من السني الى الجعفري) لغرض حرمان اطراف اخرى من ميراثه هو وهم بعض افراد اسرة الدفتري.

وجد الوالد نفسه، في هذه المرحلة الزمنية الاخيرة من حياته، وهو لايمارس السياسة الا في نطاق ضيق لا يتعدى كتابة المذكرات المرفوعة للسلطة فتوفر له بذلك المزيد من وقت الفراغ فأخذ ينفقه في المطالعة لساعات اكثر من السابق، وكذلك في هوايته المفضلة ، وهي التصوير الفوتوغرافي وتطور الامر الى تأسيس غرفة مظلمة للتحميض فاشتريت الادوات اللازمة والمواد الكيميائية الخاصة بالعمل، وجرى الاتفاق مع احد العمال الماهرين ليعمل مع الوالد في الغرفة المظلمة يوماً واحداً في الاسبوع.

×× ×× ××

التحول..نحو الفن

وقد يسر وقت الفراغ مجالاً اوسع لنا للاختلاء به والتحدث معه، سواء انا او بلقيس ، احياناً سوية واحياناً اخرى على انفراد، وتطورت احاديثنا فصارت تشتمل على التطرق الى الادب الحديث والموسيقى المعاصرة وقد بلغ اهتمامه بالموسيقى الذي ربما شحذته احاديثنا ان اشترى كراما فون فكنت انا ازوده بالاسطوانات للموسيقى الكلاسيكية والعصرية معاً كما كانت بلقيس تهيئ له بعض الاشرطة المسجلة، كما ربما اسهم في اهتمامه الجديد هذا المنطوي على تحول جذري نحو الموسيقى ما كانت له من علاقة بباهر فائق الذي يهوى الموسيقى بدوره وكان الوالد يزوره في داره ويطلع على ما لديه من تسجيلات للموسيقى الكلاسيكية.

وانتقل التحول الى الجدران ايضاً، ففي هذه الفترة علقت صور تمثل فن الرسم العراقي المعاصر لرسامين مثل فائق حسن ولورنا سليم ومحمود صبري، وذلك في غرفتي المكتبة والجلوس كذلك اضيفت الى غرفة المكتبة لوحة جديدة هي عبارة عن صورة فوتغرافية كبيرة لوثيقة الماغناكارتا (أي بيان حقوق الانسان) وبحجمها الطبيعي الذي يبلغ نحو ١٠٠×٧٠سم، كما نقل مصغر لسفينة كريستوفر كولومبس من غرفة الجلوس الى غرفة المكتبة ولكل من الوثيقة والسفينة دلالته الواضحة.

في هذه الاثناء طلب مني الوالد ترميم غرفة الجلوس، فقمت بعد التداول معه وبموافقته برفع جميع الاثاث الثابتة وتبديلها باثاث جديد حافظ على التصميم القديم وعلى طابع الغرفة العام نفسه مع اني اضفت سقفاً ثانوياً واطئاً بعض الشيء ، اما في غرفة المكتبة فقد تم تعديل بعض الاثاث واضافة قطع اخرى لاستيعاب المتطلبات الجديدة، وكانت الاضافات من الاثاث من التصميم الحديث المعاصر، على اني اعترف اني لم استطع هنا في هذه الغرفة، على الاقل بنظري انا، ان احافظ على المستوى الفني المتناسق الذي كانت الغرفة قد اكتسبته في اوائل الاربعينيات.

وفي غرفة المكتبة هذه اضيف شيء اخر جديد هو دفتر اسود وضع بجوار الكتاب الاسود المخصص لتدوين القوانين الماسة بحقوق الانسان والدفتر الاسود الجديد اصغر حجما من الكتاب واقل منه سمكاً ، وقد ولد في مخاض الام اخرى مختلفة عن اللوعة الفكرية الخاصة باهدار الحقوق.

وبات الدفتر يزداد ويمتلئ بالكتابة فيزداد اهمية، وكان الدفتر شخصياً، لا يفترض باحد الاطلاع عليه سوى ابي الذي يضيف اليه بخطه قليلا قليلا يوما بعد يوم، (وسيأتي موضوعه بعدئذ).

كان الوالد في هذه الفترة ينقل جلوسه من غرفة المكتبة حينا الى غرفة الجلوس حيناً اخر، في هذه الاثناء كانت تشغل احدى الغرفتين لأشهر متواصلة تهجر فيها الغرفة الاخرى، ثم يأتيها دورها في الاشغال وتنعكس الاية، وهكذا، وذلك حسب الاحوال كتزايد او تناقص عدد الزوار.

×× ×× ××

لا للكذب

واستمرت زيارات الاصدقاء، خاصة في امسيات الجمعة، كان بعض المقربين من الوالد يجتمعون معه في جلسات خصوصية وقد ربطهم به تجاذب خاص، كان من هؤلاء على ما اذكر سعد عمر وعبيد الحاج خلف ، وكانت الاحاديث متنوعة واذكر ان الحديث تطرق يوماً الى موضوع الصدق والكذب فاذا باحدهم يسأل ابي: هل كذب يوماً في حياته؟ فأجاب الوالد بعد تأمل: لا لم اكذب، ولكن مرة واحدة لم أقل الحقيقة ثم سرد الحادثة قائلاً: ذات يوم وانا في العشرين من عمري تقريبا، وبينما كنت ادخل احد الفنادق في بغداد كان يخرج منه في الوقت نفسه صديقي موفق الآلوسي فالتقينا عند المدخل، وكان موفق في اليوم السابق قد تضارب مع شخص ما في شجار معين فاذا به حين التقائنا يسألني قائلاً: كامل هل انت تكلمت ضدي؟ وكان سؤاله عن موضوع آخر لاعلاقة له بشجاره.

لكني لمعرفتي بما حدث في اليوم السابق قلت في نفسي بعد تأمل، اذا اجبته بنعم وهي الحقيقة فهناك احتمال كبير بأن يتهيج موفق ويهاجمني بالضرب فاضطر الى الاشتباك معه وهو مالا اريده لنفسي واذا اجبته بلا فأنني اكون قد كذبت لذلك تملصت بجوابي له قائلا: موفق، لا تبقى بهذا العقل ، بهذه الطريقة تجنبت شجارا محتملا، ولم اكذب لكنني لم اقل الحقيقة.

واذكر ايضاً في مناسبة اخرى من هذه المناسبات الحميمة بين الاصدقاء المقربين أن سأله احدهم، وقد تطرق الحديث الى فقدان نفائس الاشياء، عما اذا كان قد فقد شيئاً ثمينا في حياته، فقال الوالد: نعم، فقدت شيئين ثمينين جداً، قال ذلك وقد ارتسمت على وجهه سيماء الحزن، ثم اخذ يقص الحكايتين، الواحدة بعد الاخرى قال عن الاولى: ان عند اعلان تركيا الحرب في الحرب العالمية الاولى، وكان عمره نحو ١٧ عاما ، اذ جاء شخص انكليزي لا يعرفه ومعه صندوق خشبي، وقال له انه قد امضى مدة في العراق وقام بالتقاط تصاوير فوتوغرافية كثيرة لمختلف المواقع في العراق ولمدينة بغداد، وان مجموعته موجودة في الصندوق، وبما ان عليه ترك العراق بسبب اعلان الحرب وان نقل الصندوق معه لا يخلو من محاذير فأنه يرجو ان احتفظ به لحين رجوعه يوما ما واضاف الانكليزي يقول: اننا لايعرف احدنا الاخر لكنه قد سمع عني بأني مولع بالتصوير الفوتوغرافي ، كما ان له ثقة بي.

وقال عن الحكاية الثانية ان عماً له ذهب الى جنوب العراق وسجل عددا من الاغاني الريفية هناك على الشمع، وكان ذلك خلال السنوات العشر الاولى من هذا القرن، وقبل وفاته اودع تلك التسجيلات الشمعية لاعتقاده بأنها ثمينة جدا من الناحية التاريخية وطلب مني الاحتفاظ بها للاجيال المقبلة، واضاف الوالد يقول: انه كان معتزاً غاية الاعتزاز بصندوق الصور الفوتوغرافية وصندوق التسجيلات الشمعية، فلما نفي والده في العشرينيات وسافر مع الاسرة قام ابي بأخذ الصندوقين معه لشدة اعتزازه بهما، ففقدهما في الطريق الى بومبي، قال الوالد انه لا ولن ينسى فقدان هذين الصندوقين النفيسين.

وقد كان الوالد شديد الاعتزاز بالاشياء ذات القيمة لديه، اذكر مثلا انه كان قد جمع لكل منا البوما كاملاً بصورنا الفوتوغرافية التي كان يلتقطها بنفسه للذكرى، وذلك منذ الولادة ولحين عام ١٩٣٦ عندما توقف تقريباً عن ذلك ، فلما طلبت منه ان يعطيني الالبوم الخاص بي مرة قال لي: هذا يضيع عندك، كان ذلك في منتصف

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1721)
السنة السابعة
الخميس (11)
شباط 2010

الستينيات.
اما الجلسات الصباحية فكان يؤمها السياسيون من مختلف الفئات، ولهذا كان طابعها طابع الاحاديث العامة، وبالنسبة للوالد بالذات فأن هذه اللقاءات كانت ممارسته السياسية الوحيدة في هذه المرحلة، وهي ممارسة لا تتعدى تبادل الرأي ولا تتجاوز حدود الدار، وكان الزوار الصباحيون كثيرين، ولم تكن بعض الاحاديث تخلو من طرافة تكاد تبلغ شكل الملحة غير المقصودة. اذكر مثلا انه زار اديب الجادر ذات صباح الوالد وذلك بعد انتخابه مباشرة نقيبا للمهندسين فسأله الوالد: وكم عدد الذين انتخبوه؟ قال اديب: اقل من الف، فسأل الوالد: وكم عدد اعضاء النقابة؟ فأجاب: اكثر من الف ، فلما خرج أديب سألني الوالد عن عدد المصوتين المحدد فأخبرته بأن العدد حوالي الـ ٢٥٠ وقد لاحظت ان الوالد قد آنسه حسن تملص اديب الجادر في اجاباته ، فهو لم يكذب ولكنه في عين الوقت لم يذكر الحقيقة.
ويمكنني القول، من مشاهداتي لمجالس ابي، ان مثل هذه الواقعة لم تكن فريدة في بابها، ولعل اسلوب تعامل الوالد مع الاصدقاء والمعارف بل وحتى مع السياسيين من معتنقي المبادئ التي لايؤمن هو بها، وكان اسلوبا يتسم بالجدية من جهة وبعدم التسامح بالرواية الكاذبة من جهة اخرى ، هو الذي طبع احاديث زائريه بطابع الجدية وتجنب الكذب او الادلاء بمعلومات غير صحيحة ولم يكن الوالد يبشر بهذا الاسلوب علانية بطريقة الوعظ والارشاد، بل كان متشرباً به، باديا عليه يلتزمه بصورة عفوية ولايتبجح باتباعه ، لكن اتباعه هو جزء لايتجزأ منه من دون ان يكره نفسه عليه، فكأنه من صفاته الاعتيادية التي ولدت معه، لذلك فأن ابي لم يكن يحرج احدا في حديث او مناقشة ، لكن سليقته الجدية التي تتوخى الصدق في كل شيء تسري الى الاخرين كما لو بالعدوى، لذلك كان الاصدقاء لثقتهم به ومعرفتهم باخلاقه اما يسرون اليه بما لديهم بلا تحريف جوهري واما يحجمون اصلاً عن ابلاغه بمعلومات خاطئة.

ضد مبدأ الرقابة

ولشدة عدم استحسان ابي للتبجح فأنه كان يعرض احيانا، وعلى طريقته الخاصة ، بالمتبجحين والمتظاهرين بما ليس فيهم او المبالغين بما عندهم، اما اذا كان هؤلاء من ذوي الصفات الحسنة الاخرى او الكفاءات الخاصة، وصار جموح طموحهم يعكر عليهم صفو مميزاتهم ، فكان الوالد يطلق على هؤلاء عند الحديث عن احد منهم كلمة "مكرود" فكأنها كانت تحوي في تقديره كل ما يريد التعبير عنه من تنديد خافت بالتبجح والتظاهر والمبالغة من دون غمط صريح للحسنات سواء في الكفاءة العلمية او في السيرة الجيدة.
يخطر لي الان مثلان على هذا التشويش الحاصل لدى البعض في نظر الوالد، اولهما انه كان يقول عن الدكتور محمد سلمان حسن انه ذو قابليات علمية اكثر من المعتاد، ثم يسكت ويقول: لكنه "مكرود" والثاني قوله عن عبد اللطيف الشواف انه نظيف ووطني مخلص ثم يردف قائلاً: لكنه "مكرود" ويشرح له ما يعنيه بقوله: انه يريد ان يصير رئيس حزب، فهو يجمع كم واحد في مكتبه ويتصورها جلسة وقد اقنع نفسه انه رئيسهاورئيس الحزب.
كنت جالساً مع الوالد في غرفة المكتبة ذات يوم، وكان هو يفتح رسالة وصلته بالبريد كان يفتحها بفتاحة انيقة (كانت في الاصل بمحفظة جلدية انيقة ايضا وفقدت) وفيها مقص كذلك، وهذه العدة هي هدية اهداها له الدكتور صائب شوكة في منتصف الثلاثينيات بعد رجوعه من سفرة قام بها في اوروبا انذاك نظر الوالد الى الرسالة التي بين يديه وركز بصره على ختم الرقيب، وأطرق ثم التفت الي قائلاً: انت لاتنزعج من هذه الطمغة، قلت: ليس كثيراً فتأملني قليلاً ثم استطرد يقول لانك، انت وجيلك قد تعلمتم او بالاحرى لم تعيشوا والبريد مراقب، لذا قبلتم مبدأ الرقابة من قبل السلطة كشيء طبيعي، فأنتم لاتعرفون العيش من دون رقابة ، اما انا فأنزعج كلما تعرضت الى منظر هذه الطمغة لأنني لم اتعود عليها، وانا لا اقبل رقابة السلطة علي، لا اعطي هذا الحق الى السلطة.
ان هذا الموقف لم يكن جديداً عند الوالد، بل كان يرافقه دائما ويشكل خلفية فسيحة لنظرته العامة للحياة الاجتماعية والسياسية، اذكر مثلاً انه كان يستشهد مراراً بمثل عن اللا اخلاقية فيحكي، مستهجناً عن احد السفراء العراقيين في العهد الملكي الذي كان يفتح البريد الخاص لموظفي السفارة للاطلاع على دقائقهم الشخصية كانت نظرة الوالد لمثل هذه الوقائع وماتعكسه من وجهة نظر، هي نظرة لماهية العلاقة بين الفرد والسلطة وكيف يجب ان تكون ، فضلاً عن التطور الحاصل في هذه العلاقة وان كان تطورا يجري من سيئ الى اسوأ اذكر انه عند كلامه معي عن ختم "فتحة الرقيب" انه استطرد يتحدث عن تطور النظرة في الوقت الحاضر نحو العلاقة مع دائرة البريد اذا ما قورنت بما كانت عليه تلك العلاقة في الثلاثينيات، وقال: اليوم انت لاتستغرب اذا فقدت لك مجلات في البريد او صودر بعضها، بل تعتبر ذلك شيئاً طبيعياً، اما في الماضي فالامر يختلف ثم روى لي ابي كيف ان احد سعاة البريد في ذلك الزمن كان قد سلم خطأ مجلة مرسلة اليه، ولتشابه الاسم فقد سلمها الساعي الى كامل الكيلاني، وعند اكتشاف الخطأ اعيدت المجلة الي، ولم يقتصر الامر على تصحيح الخطأ فقط بل ان مدير البريد نفسه اتصل بالوالد تلفونيا واعتذر لحصول هذا الالتباس..واردف ابي معلقا على هذه الواقعة بقوله: كانت علاقتنا في الماضي تختلف عما هي عليه في الوقت الحاضر.
في يوم من ايام احد الاعياد قال لي ابي: اريد ان اذهب الى بيت نشأت السنوي، لقد زارني ، هل تذهب انت كذلك؟ هذه العبارة تثير في خاطري شيئين:الشيء الاول ما تدل عليه من تطور في السلوك مع تطور العمر، فالوالد لم تكن تبدو منه هذه المبادرات في المجاملة القائمة على المقابلة بالمثل

يمكنني القول، من مشاهداتي لمجالس ابي، ان مثل هذه الواقعة لم تكن فريدة في بابها، ولعل اسلوب تعامل الوالد مع الاصدقاء والمعارف بل وحتى مع السياسيين من معتنقي المبادئ التي لايؤمن هو بها، وكان اسلوبا يتسم بالجدية من جهة وبعدم التسامح بالرواية الكاذبة من جهة اخرى ، هو الذي طبع احاديث زائريه بطابع الجدية وتجنب الكذب او الادلاء بمعلومات غير صحيحة ولم يكن الوالد يبشر بهذا الاسلوب علانية بطريقة الوعظ والارشاد، بل كان متشرباً به، باديا عليه يلتزمه بصورة عفوية ولايتبجح باتباعه ،

في مراحل العمر الاولى، والشيء الثاني انها تعبر عن طريقته في التعامل معنا، فهو لا يأمر بالطلب بل يستفسر الرأي، وسؤاله جدي، وانا في خيار ان شئت ذهبت معه وان شئت لم اذهب ، وهو لا يناقش في مثل هذه الامور أو يتدخل باقحام نفسه فيها.
على ان الذي اريد ان ارويه في هذه المناسبة هو شيء اخر تماما، ذلك اننا ذهبنا معاً بسيارتي التي اسوقها بنفسي في تلك الزيارة، وعند رجوعنا طلب مني قبل ان يغادر السيارة ان اراه، وبعد ان اوقفت السيارة في مكانها ذهبت اليه في غرفة المكتبة وكان جالسا كعادته خلف منضدة الكتابة وقد دار بيننا هذا الحديث:
قال: كانت سياقتك سريعة ما هو فرق الوقت في تقديرك لو كانت السياقة معتدلة، قلت: اقدرها بين ٥ الى ١٠ دقائق:
قال: هل تدري انك بسياقتك هذه قد عرضت حياتي وحياتك للخطر؟
قلت: اعلم ذلك.
قال: اعلم ذلك.
قال: تعلم ذلك، اذن لماذا تقوم بهذا العمل الجنوني؟
قلت: السياقة السريعة بالنسبة لي هواية.
قال: اذا كان الموضوع بهذا الشكل فاذن القضية تختلف.
يمكن ان يعتبر الحوار السالف نموذجا لاسلوبه في التأنيب، بل يمكن اعتباره نموذجا حتى لما يقع من خصام فالذي يجري هو تأنيب يصدر عنه بطريقته التي يصورها ذلك الحوار، ورفض للتأنيب من قبلي على طريقتي المتأثرة بطريقته ، على اني كنت اندم بعد المؤاخذة الكلامية على اجوبتي الحادة، والتي لم تكن لتخلو من بعض المغالطة ولكني كنت اقول في نفسي ان اجوبتي ان كانت حادة فهي بمثابة رد فعل للنقد القاسي الذي كان ابي يوجهه لي في كثير من الاحيان، مع علمي بأنني قد تعودت من معايشة والدي منذ الطفولة فلا اسمع منه المديح، ودرجت على ذلك الى حد التسليم به والمثل الذي ذكرته يصور شيئا اخر ايضاً، وهو ما ان يتلمس احد الطرفين بوادر انفجار حتى يلتزم الاخر السكوت، ويبدل موضوع الحديث ذلك لأن كل طرف يعرف اين يتوقف مجاراة لعواطف الاخر، كانت تحدث في الاسرة بالطبع خلافات وانفجارات لكن كل فرد من افراد العائلة يحترم الوالد احتراماً عميقاً، ولم ينشأ هذا الاحترام الخالص العميق من خوف، او من توقع مصلحة من رب الاسرة، بل نشأ تقديراً منا جميعاً لما يتحلى به هذا الاب من صدق وامانة في ظاهر الامور وباطنها ، وكنا نعلم جميعاً، كما لايمكن ان يعلم احد غيرنا، بتطابق ظاهر الرجل وباطنه من دون شبهة التناقض ومن دون ان يساورنا أي شك في وجود أي تباين بين الظاهر والباطن من أي نوع ، كما نشأ الاحترام من معرفتنا الوثيقة بان الوالد، يعطف علينا جميعا الى حد القلق المستمر وان كان يكبح عطفه ولا يظهره لنا خاصة وانه لم يكن يريد ان يؤدي عطفه الى تشجيع التبجح فينا، ولا اظن ان هذا النوع من السلوك جاء نتيجة تخطيط ارادي من الوالد، بل استطيع القول انه هذه هي طبيعته الذي فطر عليه، لذا فقد ترعرعنا منذ الطفولة على هذا الموقف الخاص الفريد الذي لم نشهد غيره، فكنا نعلم انه يكن لنا الود العميق وهو يعلم اننا نعلم ولكن احدا لا يجهر بشيء وهذا هو سر العائلة المقبول منا والذي قبله حتى من انضم الى الاسرة بالزواج.

شمولية تفكيره

والحوار الذي جرى بيني وبين ابي حول سياقتي للسيارة يذكرني بواقعة اخرى تبين كيف كانت طريقة والدي في تبيان ارائه بشأن بعض مواقفي مهما كانت بسيطة الشأن، كما تبين شمولية تفكيره ففي ظهيرة احد الايام كنت جالسا في غرفة استقبال والدي انتظارا لحلول موعد الغداء، كنت وحيداً في الغرفة، وقد مددت ساقي على الطاولة كعادتي عندما اقرأ، واذا بوالدي يدخل الغرفة ولهنيهة ترددت في نفسي وانا اتساءل في خاطري ما العمل؟ هل ابقي ساقي ممدودتين على الطاولة ام اسحبهما فوراً؟
وساورني ان سحب الساق والاعتدال في الجلوس من الاشياء التقليدية البالية التي لاضرورة لاتباعها مع الوالد بالذات لانه هو نفسه لايعبأ بها وصرنا نحن كذلك، لانعبأ بها بدورنا، ومع كل ذلك ، وبعد تردد خاطف سحبت ساقي بشيء من التباطؤ، وكان والدي خلال تلك اللحظات قد وصل الى كرسي بجانبي واستقر جالسا عليه.
لن انسى تلك السويعة العابرة، وقد جلس ابي يتكلم بهدوء وراحة بال وبلهجة كأنها لخفتها مازحة بكل ما في المزاح المتحضر من رهافة ولطافة، واخذ يروي لي حكاية من ايام صباه، هاشاً باسماً، وهو يتوقف بين الحين والحين وكأنه يعيد التذكر في ذهنه ليقارن بين صورة وقعت امامه اللحظة وصورة اخرى سحيقة القدم مثلت في الذاكرة وقد غشاها غبار الزمن، وبأسلوب ذكرني بطريقة السرد الجامعي لاستاذ يروي لتلميذ له شيئا بروحية المقارنة الانتروبولوجية.
قال: تصور التطور في المفاهيم الاجتماعية التي في العراق، فاذا تقارن بين موقفك عندما دخلت الغرفة وبين موقفي عندما دعاني والدي وقد كنت في غرفة مجاورة لغرفته ولكني لم اجرؤ ان اذهب اليه لأنني كنت من دون فينة على راسي فاضطررت للاسراع والذهاب بسرعة حول طارمة الحوش في الطابق الثاني الى غرفتي في الجهة المقابلة وبعد ان وضعت الفينة على راسي...ذلك الوقت ذهبت لرؤيته لم يكن من الاداب ان اواجهه من دون فينة ، كل هذا التطور حدث خلال هذه الفترة الوجيزة.
بعد هذا التعليق الذي ابداه الوالد والذي يكاديكون علمياً، والذي ينطوي كذلك على نوع من العتاب هو بمنتهى التهذيب، احسست بخطئي ولكني في الوقت نفسه تحسست كثيرا من هذا الموقف الحضاري عند ابي وهذه النظرة الانثروبولوجية التي لا تكاد تفارقه في جميع الاحوال.
ان هذا يقودني الى تذكر شيء اخر، فقد كانت اللغة الاعتيادية التي يستعملها الوالد معنا او مع الغير هي لغة لازمته طوال حياته من دون ان يطرأ عليها تغيير يذكر باستثناء ما طرأ على لغة الكلام عموماً في العراق من الاقتراب في الحديث اليومي الدارج الى اللغة الفصحى تدريجياً كانت لغة ابي في الحديث لغة تخلو نهائياً من التكرار، ومن الفاظ التحبب او التدليل، ومن صفات المديح ومن الاطناب كما تخلو تماما من كلمات الشتيمة وعبارات العتاب القاسية وكذلك من العاطفيات عامة.

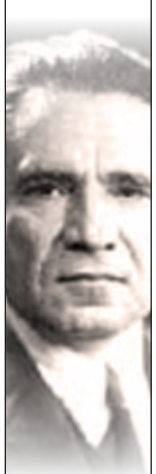

حول مذكرات الجادرجي

رفعت عبد الرزاق محمد

تمر هذه الايام ذكرى رحيل الاستاذ الكبير كامل الجادرجي، الشخصية الوطنية المرموقة والمثل الاعلى للحركة الديمقراطية في العراق منذ نشوئها ، ولم يزل الجادرجي بالرغم من انقضاء سنوات طويلة على رحيله ١ شباط عام ١٩٦٨، فأن مسيرته السياسية والفكرية حرية بالبحث والتحقيق ومما يزيد من اهمية ذلك ، تجدد تاريخه وتاريخ بحركة الديمقراطية من العوامل الشخصية السياسية بعد تلك السنين، واصبح لزاماً ان تخضع التجربة الديمقراطية في العراق، التي انتهت بقيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ (!) الى البحث التوثيث واعطاء كل ذي حق حقه، فالرسائل الجامعية العديدة في هذا الموضوع تناولت اكاديميا الجانب التاريخي من تلك المسيرة، اما تقييمها وبيان مالها وما عليها ، فلم نقرا سوى سطور عابرة هنا وهناك.

ان للجادرجي حق على الاجيال الحقة لمسيرته ان تبحث وتتأمل ويقتنى منها ما هو جدير بالاحياء والاعتبار.

حول مذكرات الجادرجي

عندما صدرت مذكرات الاستاذ كامل الجادرجي عام ١٩٧٠ (دار الطليعة في بيروت) جوبهن باعتراض واسع من قبل عدد كبير من الوطنيين الديمقراطيين وغيرهم. اذ كان المتوقع ان تضم هذه المذكرات التي اتفق على ان تكون تاريخاً للحزب الوطني الديمقراطين غير الذي ظهر فيها من تعريض او هجوم على بعض الشخصيات القريبة من الجادرجي.

وبعد سنوات أثيرت القضية ثانية وقد نشرت جريدة (العراق) البغدادية ليوم ١/ايلول/١٩٩٣ مقالاً للاستاذ نصير الجادرجي ، ذكر فيه ان نمكرات والده نشرت دون أي حذف أو اضافة الا في العنوان، حيث اضاف الناشر (دار الطليعة) جملة (مذكرات كامل الجادرجي)، الى جملة (تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي) دون الرجوع اليه، وأن مسودة الكتاب اعدت سنة ١٩٦٦، أي في حياة الجادرجي، ووزعت المسودة التي كتبت بـ ٦ نسخ على مجموعة من الديمقراطيين منهم: محمد حديد، هديب الحاج حمود، يوسف الحاج الياس، عبد الله عباس، عبد الغني الملاح، عبد الوهاب الطائي، صلاح عبد الوهاب، عبد المجيد الونداوي، الدكتور صادق مهدي السعيد، راشد الشواف، وذكر الاستاذ نصير الجادرجي انه يعتقد ان حسين جميل اطلع على المسودة، بدليل انه كلف احد الاساتذة الافاضل بالتحدث مع نصير لحمله على عدم نشر بعض ما ورد عنه.

ويعتقد الاستاذ حسين جميل في حديث خاص معه ان الكاتب عبد المجيد الونداوي وهو من ابرز صحفيي الحزب الوطني الديمقراطي له يد فيما نشر من المذكرات، ونشرت جريدة (العراق) يوم ١٦ ايلول عام ١٩٩٣ كلمة للاستاذ جميل، ذكر فيها انه لم يطلع على مسودات الكتاب ولم يكلف احدا بنشر أي شيء، وفي اليوم نفسه نشر الصحفي الاستاذ عبد القادر البراك كلمة بالمناسبة ، جنح فيها الى رأي حسين جميل، وذكر لي الاستاذ خيري العمري انه كان مطلعاً على مذكرات الجادرجي قبل نشرها او تهذيبها وانه قد اعتمدها في اكثر من مقال نشره في مجلة (الهلال) او مجلة (دراسات عربية).

ولأجل توثيق الامر وايضاحه، اذكر اني كنت التقي الاستاذ حسين جميل بشكل منظم في السنوات ١٩٨٨ / ١٩٩٣ في داره او في مكتبة المثنى ببغداد، وكنت اتحدث معه واحاوره في قضايا مختلفة تتعلق بتاريخ العراق الحديث، حتى وصل الحديث الى مذكرات الجادرجي المنشورة عام ١٩٧٠، وقد ذكر لي جميل انه لم يطلع على المذكرات المهيئة للنشر أسوة بالاخرين، وقد هاله ما أطلع عليه في المذكرات ، وقد ورد الاستاذ جميل اكثر من مرة عبارة: سامحه الله ، ويعني الجادرجي غير ان حديثه كان ينم عن احترام عميق للجادرجي، ومن الطريف ان مكتبته كانت تضم اكثر من نسخة من تلك المذكرات، ولايرى بأساً من اعارتها لمن لا يطلع عليها من اصدقائه، او الباحثين غير انه سمح لي بالاطلاع على النسخة الخاصة به، وفيها تعليقات بالقلم الرصاص مذيلة بـ (ح،ج) على حاشية الكتاب في صفحات مختلفة، ولم يكتف بهذا بل مكنني من نقلها توثيقاً للامر، ومقابل هذا فقد صورت له تعليقات على المذكرات للسادة عبد الوهاب الامينة وفاضل حسين ويحيى نصر الله وعزيز شريف وغيرهم.

ولعل من المفيد هنا، ان اعرض بعض من تعليقات الاستاذ حسين جميل:

-الصفحة ٣٠٤، الحقيقة في الموضوع ان صادق كمونه لم يذكر ان الاسباب الحقيقية لأستقالته هي ان الحزب سيتعرض للاضطهاد، وانا لم انسب ان كمونة قال ذلك، انما الاسباب التي ذكرها كمونة هي التي جاءت بكتاب استقالته وإنما انا في حديثي معه ابديت ملاحظة عن الوقت الذي قدم فيه الاستقالة والحزب في معركة مع كتلة صالح جبر فقال ان الحزب قد يتعرض للملاحقة أو الاضطهاد ولابد من الاستقالة. ١٩٧٠/٢/٢٥

-الصفحة ٣١٣ اذا كان رأي الاكثرية في الحزب في سيئة فكيف انتخبت عن جميع مؤتمرات الحزب الى النهاية.

-الصفحة ٣٣٠، لم أرَ عبد الاله ولم اقابله في حياتي قبل ان اشترك بوزارة علي جودة وحتى بعد استقالة الوزارة لم أقابله.

-الصفحة ٣٣٢، عنوان خواطر الاسبوع ليس جزءاً من المقال انما هو عنوان باب من ابواب الجريدة يكتب فيه صبيح الغافقي كل اسبوع، اعتقد اني كتبت عدة مقالات وفي محل آخر من هذا الكتاب ان الجريدة كانت تنشر خطبي واقوالي في المجلس هذه الفترة.

-الصفحة ٣٩٧ لم اقل هذا ولم اعتقد صحته في يوم من الايام، بل كنت معتزاً برئاسة كامل الجادرجي.

-الصفحة ٤٢٧، لم أدخل في حياتي دار صالح جبر غير مرة واحدة في أخريات ايامه بدعوة حضرها عدد من المعارضين في وقت كان هناك، اتصال بين صالح جبر وحزبنا وبالجادرجي بالذات.

-الصفحة ٥٤٦، حول مذكرة الحزب ، كتب الجادرجي ٢٣٦ صفحة عن موضوع اشتراكي بوزارة علي جودت ولكنه لم يكتب ولو سطرا عن دوري في فكرة هذه المذكرة ودوري الاساس في اعدادها وفيما اعقبها من احداث.

هذه فقرات من تعليقات كثيرة للاستاذ حسين جميل على مذكرات الاستاذ كامل الجادرجي، فقلتها لأيماني ان المضوع بقضه وقضيضه أصبح ملكاً للبحث التاريخي ليس الا بعد رحيل تلك النخبة المضيئة من السياسيين الوطنيين، ولم يسعفنا الزمن بمن يسد فراغ رحيلهم.

والحقيقة ان صدور مذكرات الجادرجي عام ١٩٧٠ اثار العديد من الكتاب من خارج الحزب الوطني الديمقراطي ولدي قصاصات كثيرة كما نشرته الصحف والمجلات من ردود افعال مختلفة، وقسم كبير من تلك المقالات المؤيدة او المخالفة لما ورد في المذكرات ، كانت جريدة (التآخي) البغدادية ساحة لها، ومن ذلك مقال الاستاذ مصطفى علي –الاديب والوزير السابق ، في عدد يوم ١٩٧٠/١١/١٧ وقال فيه:

"لي مذكرات كامل الجادرجي شأن غريب ، فقد أجمع من لقيت من قرائها على انها ليست بذات خطر، وانها لا تناسب المكانة السياسية التي كان يحتلها صاحبها، وانهم كانوا ينتظرون منه ارقى من هذه المذكرات وادق وأوفى، وكان جل أنتقادهم موجهاً، الى انه اساء الى زملائه في الحزب تناول شخصياتهم واعمالهم بالنقد والتجريح.

هذه الاراء ملأت نفسي نفوراً من تلك المذكرات فزهدتني في قرائتها ، يضاف الى ذلك النفور ما كان بين كاتبها وبيني من تباعد، فتركتها ملقاة في مكتبتي اكثر من شهرين وانا منها بين اقدام واحجام، كلما همت ان اشرع في قراءتها ثنائي الحرص على وقتي ان يضيع فيما بين اقدام واحجام، كلما همتُ ان اشرع في قراءتها ثنائي الحرص على وقتي ان يضيع فيما لا طائل تحته وفي غضون ايلول عام ١٩٧٠ حملت نفسي حملاً على قراءتها فاذا انا اخالف اولئك القراء فيما اجمعوا عليه.

ذلك لانها ليست مذكرات عامة، بل هي خاصة بتاريخ حزب سياسي هو الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان يراسه صاحب المذكرات.. لقد تجلى لي من مطالعتي المذكرات ان كاتبها كان صادق اللهجة، مخلصاً لحزبه متمسكاً بمبادئه خاضعاً لما تتخذ اكثريته من قرارات.. وانه كان من ذوي الاراء السياسية يعتنقها عن عقيدة، ويدين بها عن ايمان وانه لم يكتب ما كتب مستمدا من الذاكرة التي من شأنها ان تخون صاحبها، انما كتبه معتمداً على ما دون من احداث وسجل من وقائع ساعة حدوثها ووقوعها ، وانه لم يكن – كما اشيع عنه – ستبداً برأيه يفرضه فرضاً على اعضاء الحزب.. وكتب الصحفي القدير عبد القادر البراك في مقاله (يوميات) في جريدة الجمهورية ليوم ١٩٧٠/٤/٢ :يقول احد النقاد الفرنسيين ان كتاب المذكرات يريدون ولوج الحياة من جديد، بعد ان فقدوا مقومات البقاء الحقيقية في الحياة، وليس الاستاذ الجادرجي من هؤلاء ، فهو ليس في حاجة الى دخول الحياة من جديد، بعد ان خلف وراءه سجلاً حاملاً بالاعمال التي تسلكه في عداد الساسة الاحرار الذين لم يبخلوا بجهد ولا بتضحية في سبيل مصالح الشعب وهو لشعوره بذلك لم ينشر مذكراته في حياته، وكان بوسعه بعد ان اعتزل العمل السياسي في السنوات الاخيرة ان يشرع بنشر هذه الذكريات او بعضها.. بل لعلي لا اغلو اذا قلت ان المرحوم الجادرجي كان قد استشير في نشر مذكرات بالشكل الذي نشرت في ه لما ارتضى ذلك فأن هذه المذكرات لم تضعف للرجل امجاداً كان يفتقر اليها، بل لعلها نشرت غسيلاً داخلياً كان ممكن القبول لو كان الرجل على قيد الحياة لأمكان قيام بعض من تناولهم بمناقشة ووقع الانطباعات التي تكونت لديه عنهم.."

وأخيراً، فذكر في هذه الفذلكة عن مذكرات الاستاذ الجادرجي، ان نجله الفاضل نصير الجادرجي قد اكد في مقدمة المذكرات ما نعده اجابة لكل هذه التساؤلات ، ففي الطبعة الاولى (الطبعة الثانية صدرت عن دار الجمل في المانيا) عام ٢٠٠٢ بمقدمة طويلة كتبها الاستاذ رفعت الجادرجي ، جاء مايلي:

"اعدت مسودة هذا الكتاب عام ١٩٦٦ لتنشر باسم تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي للفترة المنتهية في تموز عام ١٩٥٨ ..وبعد اكمال وضع المسودة المذكورة وزعت على اخوان من الوطنيين الديمقراطيين لدراستها وابداء ملاحظاتهم الخطية حولها، وقد قدم بعض هؤلاء الاخوان ملاحظاتهم بالفعل عام ١٩٦٧، وثار الجدل بصورة رئيسة حول إمكان نشر اجزاء معينة من مذكرات الاستاذ الجادرجي، وكان هناك رأي يقول بأن الاجزاء التي تخص اشخاصاً ما يزالون قيد الحياة يجب ان يؤجل نشرها في الوقت الحاضر، الا ان الفقيد عارض هذا الرأي بشدة وأخر نشر الكتاب ولم يتيسر حق تصحيح المسودة بسبب ذلك لأنه كان يفضل ان يتم هذا النشر في حياة من تناولتهم بعض الكتابات لكي تتاح لهم فرصة الرد بأنفسهم على ما يريدون، ومع ملاحظاتهم في جلسة مشتركة لمناقشة كل المقترحات والاعتراضات المثارة من اجل التوصل الى الحل الافضل في الموضوع.

ولكن بعد ان عاجل الاجل الفقيد في الاول من شباط عام ١٩٦٨ أرتئي ان هذا الكتاب أصبح أمانة في يد من احتفظ به وان من المحتم نشره بالشكل الذي تركه عليه، فأن الكتاب هو عبارة عن تلك المسودة كما تركها الاستاذ الجادرجي..."

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب